المجلد الثاني عشر — الجزء ٣ و ٤

مجلة المجمع العلمي العربي

السنة الثالثة عشرة: ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

آذار — نيسان

١٩٣٢

دمشق:

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي الدفع مقدماً: في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً، وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكا

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل ٥٠٠ من السنة الاولى الى الخامسة الى كل سنة منها

〃 ٣٠٠ 〃 السادسة الى الحادية عشرة 〃

في الخارج ٦٠٠ 〃 الاولى الى الخامسة 〃

〃 ٣٥٠ 〃 السادسة الى الحادية عشرة 〃

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

الف ليلة وليلة
تاريخ حياتها[1]

« المحاضرة الاولى »

يخطو الدهر دائبًا في وناء و كبرياء وصمت ، فيعفو الاثر . ويفري الحجر . ويبري الحديد ، وتنال يده العابثة كل شيء في حياة المرء بالتغيير والنقص ، الا شيئًا واحداً يلوذ منه بسواد القلب فيستقر في قراره ، ويكمن كمون السر في دخيلته وإضماره ، أريد به ذكريات الصبى ، واحلام الحداثة ، فهي باقية والجسم يتخونه البِلى ، ثابتة والعيش تزعزعه الاحداث ، ناضرة والمنى يصوّحها اليأس ، مشرقة والنفس يغشاها من الهمّ ظلام وسحب ، فمن منكم ياسادة لا يذكر اول بيت أبصر فيه الوجود ، واول ملعب عرف فيه الرفيق ، واول مكتب رأى فيه المعلم ، واول موعد لاقى فيه الحبيب ؟؟ ومن منكم لا يذكر ساعات السمر اللذيذة الهادئة ، في غرفة النوم الوثيرة الدافئة ، حيث كان أطفال الأسرة يتجمعون حول الجدّة الحنون . اوالأم الرؤم . اوالظئر الحانية ، فينصتون في سكون وشوق الى ماتقصه عليهم من روائع الأسمار . وبدائع الأقاصيص ، وهم من طلاوة الحديث وجاذبية الحادث وبشاشة المحدّث في حال لا يصف الشعور بها غير الشاعر ، ثم لا يلبث هذا الرحيق العجيب ان يخدر الاعصاب الطفلية الرقيقة ، فتغفو تحت جناح الكرى ، وتسمع بقية الحديث الشهي في الحلم !

هذه الاقاصيص الشائقة التي كانت لعقولنا الصغيرة سحرا ، ولعواطفنا المشبوبة سكرا ،

---

(١) محاضرة للعلامة السيد احمد حسن الزيات عضو المجمع العلمي العربي أُلقيت باسمه في ردهة المحاضرات في ٢٦ شباط سنة ١٩٣٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولقلوبنا الغضة فتنة ، هي نوع من الاحلام والاماني تراءت في ليل الحياة الطويل ، ثم تجمعت في ذاكرة الزمن القديم ، وتنقلت من عهد الى عهد ، ومن مهد الى مهد ، ومن بلد الى بلد ، تحمل في طواياها نفحات الحكمة المشرقية العالية ، وعطور الازمُن البعيدة السعيدة . فوجودها أثر لوجود الانسان ، لانها ظاهرة طبيعية من ظواهره : كالغناء والشعر والرقص فلا تعرف لها أولية . ولا تحدَّد في الغالب لظهورها علة . ولكن علماء الاساطير يزعمون أنها نشأت في الهند ، وهاجرت منها الى بلاد الفرس ، ثم رحلت الى بلاد العرب ، ثم استقر بها النوى في أقطار الغرب ، وفي كل مرحلة من هذه المراحل كانت تصطبغ بصبغة البيئة ، وتتأثر بخصائص الجنس ، وتتسم بسمات العقيدة .

وأما أبطالها الذين وُجدوا على الرغم من قانون الوجود ، ونازعوا أبطال التاريخ ثوب الخلود ، فقد كان لبعضهم ولا شك حظ من الحياة ، وشهرة بملازمة الاسفار وملابسة الغير ، فتحدث الناس اولاً بما فعلوا ثم سرَّجوا حول أسمائهم وأنبائهم الاكاذيب والاعاجيب حتى أصبحوا أعلاماً على شخصيات متميزة في البطولة والحرب والحب والحيلة والكرم : كدعد وليلى في الشعر وابي نواس وجحا في التنادر .

أما أكثر الابطال فمن خلق الخيال ، ابتدعهم رموزاً للمثل الاعلى ، او القدر العابث او الجد العاثر ، او السلطان الجائر ، او الهوى المتسلط ، او الامل الآسي ، او الحظ السعيد .

وعلى ذكر الطفولة ومناغيات الامومة أراكم ولاريب تركتموني أتكلم وعدتم بالذاكرة الى تلك العهود الحبيبة تتخيلون سحرها ، وتستعيدون ذكرها ، وتصيخون الى ذلك الصوت الحنون ، ينبعث خافتاً من أعماق الماضي القريب او البعيد ، مردداً أسماء اولئك الابطال الذين طالما اكتأبتم لاكتئابهم ، وتألمتم لمصابهم ، وشاركتموهم بالعطف في نعماء الحب ، وبأساء الحرب ، ولأواء الخطب : من أمثال حسن البصري ، ونورالدين المصري ، والشاطر محمد ، والشاطر حسن ، الى آخر ما سجلته الذاكرة ...

انا كذلك يا سادتي ذكرت حين كتبت هذه السطور — هاتيك القبور التي ضمت هواي . ورفقة صباي ، ونوعاً من الحنان والاخلاص لم أذق له طعماً منذ غاض في هوة البلى منبعه ... ثم ذكرت شيئاً آخر : ذكرت مجلى من مجالي الأُنس في القاهرة كان جمعة القلوب ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وألفة النفوس ، ومستجم الخواطر ، فعصفت به روح المدنية الحديثة ، ذلك منظر المحدث اوالقصاص اوالمسامر اوالشاعر في مقهى الحي وهو في حلته الشرقية المفوّفة الضافية ، فوق صفته الخشبية البالية العالية ، وقدتجمع بين يديه ، وعن يمينه ، وعن شماله ، أوزاع العامة ، وشيوخ المحلة يستجمّون من كلال العمل اليومي برشف القهوة العربية ، وتدخين النرجيلة العجمية ، وتبادل العواطف الاخوية ، ثم الإصغاء المشترك الى (ابي درويش) وهو يقص بصوته العريض المتئد ، وجرسه الهاديء المتزن — حروب (عنترة) او وقائع (ابي زيد) اومخاطر (ابن ذي يزن) فينقلهم بقوة تمثيله اوبحسن ترتيله ، على جناح الخيال — الى عصور هؤلاء الابطال ، فيشهدهم مجد البطولة وسلطان الحب وفتك السحر وبطش المردة . ثم يرى الحديث أن فورة الحماسة اوالشوق قدطغت في النفوس لوقوع البطل في أسر اوشدة ، فيسكت ليجمع النقوط من السمار والنظار . فلا يجدُ هؤلاء مندوحة عن تعجيله ليعجل هو الى إطلاق البطل من إساره ، وإنقاذ الجمهور من شدة قلقه ومرارة انتظاره ...

وفي ليلة من هذه الليالي الساهرة تجدون هذه القهوة ذات الضوء الشاحب ، والصمت الحالم ، والمنظر الكئيب — قد خفقت فوقها الرايات ، وأشرقت في جوها الثريات ، وتلألأت في سمائها المصابيح ، وأخذت زخرفها بالسامرين ، وقد جلسوا متقابلين على الدكك العالية يطوف عليهم غلمان باكواب من ذوب السكر المعطّر بماء الورد ، وصاحبنا المحدث قدخرج الى القوم يتهادى في عمته المكوّرة وجبته المعصفرة وقفطانه الانيق الاصفر . وقد تدلت من حزامه الحريري ذلاذل تنوس على بطنه المنتفخ الضخم . فاذا استوى على عرشه المنجّد — توهج البخور من جانب وتضوعت العطور من جانب ثم خشعت الاصوات ورنت اليه العيون وأنشأ يحدث . فاذا بدا لاحد ان يسأل بعض الجالسين عن سبب هذا المهرجان عجب اولاً من انه لا يعرفه ، ثم أجابه بلهجة الفخور المزهو : هذه ليلة زفاف عبلة الى عنترة ... فاذا كانت القصة قصة بني هلال — وجدتم هذا الهوى الجميع قد استحال الى عصبية شنيعة . ورأيتم إخوان الامس قد أصبحوا أعداء اليوم : فطائفة تتعصب لبني هلال . وطائفة تتعصب لبني زناتة . وهؤلاء يريدون الشاعر على ان يقص واقعة . واولئك يسألونه ان يقص اخرى ، والشاعر لا يجيب الا من يجزل له العطاء . فاذا رجحت كفة وشالت كفة أخذ يروي من ذاكرته وغيبه — على هوى الفئة الغالبة مالم يسجله تاريخ . ولم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يدونه كتاب : فيزور الغرائب ، ويختلق الوقائع ، ويقتبس مما خزنه في حافظته — من مختلف الاسمار ورقائق الاشعار ليحوك منها للبطل حلة تهز العجب في قلوب أشياعه ، وتلهب الغيرة في صدور خصومه ، فإما نفحة أخرى تميل به الى الجهة الثانية ، وإما معركة بين الحزبين تكون هي القاضية .

هذا الرجل الذي صورته لكم هذه الصورة المتقاربة ، هذا الرجل الذي ينام النهار ويجلس الليل يحدث اربع ساعات متعاقبة ، هذا الرجل الفكه اللبق الحافظ الواعظ — هو الاثر التاريخي والنموذج الحقيقي ، لذلك القصاص البارع الذي خلّف لنا كتابنا العالمي الخالد (الف ليلة وليلة) .

يرجع تاريخ هذا القصاص ياسادة الى صدر الاسلام ، والفضل في وجوده كان أيضاً للقرآن الكريم . فقد اشتمل كما تعلمون على مجملات من أخبار القرون الخالية والنذر الاولى ، وكان أعلم القوم يومئذ بتفصيلها — من أسلم من أهل الكتاب كتميم الداري ووهب بن منبه . وكعب الاحبار وعبدالله بن سلام : فكان هؤلاء ومن أخذ عنهم يجلسون الى الناس في المساجد ، يفصلون ما في كتاب الله من قصص الانبياء ، ويسرفون في تهويل هذه الانباء ، ابتغاء للعبرة ، والتماساً للموعظة ، ووافق هذا الضرب من الوعظ هوى النفوس فازداد إقبال الناس عليه ، وكثر إفك القصاص فيه ، حتى طردهم امير المؤمنين علي من المساجد ، ما خلا الحسن البصري .

ولكن دهاة السياسة رأوا سلطان هذا الفن على العقول وقوة أثره في توجيه الميول — فاتخذوه لساناً للدعاية وسبيلاً لافتعال الاحاديث . واختلاق الاقاصيص في الاغراض الحزبية المختلفة . بدأ بذلك معاوية فولى رجلاً على القصص كان اذا صلى الصبح جلس يذكر الله ورسوله ، ثم دعا للخليفة وحزبه ، ودعا على أهل خصومته وحربه . وكان هو اذا انفتل من صلاة الفجر جلس الى القاص حتى يفرغ من قصصه ، وكان ولاته وقواده يقدمون القُصاص في بعض حروبهم ليقصوا على المقاتلة أخبار الشهداء وما وعدوا به من حسن الجزاء . فعل ذلك الحجاج في العراق ، وجاراه فيه من حاربهم من زعماء الفرق . فقد ذكر ابن الاثير في حوادث سنة (٧٧) أن عتّاب بن ورقاء سار في أصحابه قبيل المعركة يحرضهم على القتال

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويقص عليهم . ثم قال : اين القصاص ؟ فلم يجبه احد . فقال : اين من يروي شعر عنترة؟ فلم يجبه احد .

وسار الشعر والقصص في ركاب السياسة جنباً الى جنب يشبهان على الناس وجوه الرشد، ويموّهان على العقول صور الباطل ، والقصاص كانوا في ذلك أشدّ وطأة على الحق : لانهم ينسبون ما يفترون الى التاريخ اوالى الدين . فلما هدأت ثائرة الاحزاب ، وسكنت طائرة الفتن ، ونضجت العقول — عاد القصاص الى المسجد ، فوجد الواعظ قد غلبه على مكانه ، والعالم قد فطن الى كذبه وبهتانه ، والخليفة قد استغنى عنه بروايته وندمائه ، فانقلب الى العامة يسامرهم في أملائهم وأعراسهم بما أثر من ايام العرب ونقل من أساطير العجم ، وروي من أخبار الفتوح .

وانتشر القُصاص في العواصم العربية حتى صاروا ظاهرةً من ظواهر اجتماعها ، وحاجةً من حاجات عامتها ورعاعها ، واشتدت هذه الحاجة حين انفجرت الدواهي على العالم الاسلامي في أواخر العصر العباسي وبعده : من عنف المتسلطين من السلاجقة ، وعسف المتغلبين من المغول ، وغزو المتعصبين من الفرنك ، فطلبهم العامة تفريجاً للكرب ، والخاصة تشجيعاً على الحرب ، ولكنهم كانوا في مصر أبرع صناعة ، وأنفق بضاعة ، وأرفع مكانة ، لان طبيعة إقليمها ، ونظام اجتماعها ، وطباع سكانها كانت تعين على ذلك : فهي قطر زراعي ملموم الرقعة ، متصل العمارة ، يجود بالخير الكثير ، على الجهد القليل ، فكان لذلك أهله قليلي الاسفار يؤمنون بكل خبر ، كثيري البطالة يميلون الى اللهو والسمر ، وكانوا لا ينفكون بين يسر متدفق طلق — اذا عم الفيضان ، وعدل السلطان ، واقتصد الموت وعسر متجهم كزّ — اذا فحش الغلاء ، وألحّ الوباء ، وبغى الحاكم . وعلى الحالين كان السامر اوالمسامر عنصرين من عناصر الحياة ينفّران بهجة العيش في الرخاء ، ويسرّيان كربة النفس في الشدة .

وكان اول من تولى القصص الرسمي في مصر سليمان بن عنتر التجيبي سنة ٣٨ تولاه مع القضاء ثم أُفرد به ، ثم تعاقبت القصّاص من بعده في مصر على اختلاف بينهم في القدرة والغرض ، فكانوا أصداءً للعقيدة ، وأبواقاً للسياسة ، تسمع منهم في كل عهد لهجة ، ولكل دولة سنداً وحجة . وترون ذلك أقوى ظهوراً في عهد الفاطميين . فقد كان (يعقوب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ابن كلّس) وزير المعز يعتمد على المناظرات في نشر فقه الشيعة ، وعلى القصص في جذب القلوب لاهل البيت . وكان مقتل الامام (علي) ومأساة الامام (الحسين) موضوع المنابر والسوامر في شهري رمضان والمحرم .

وقيل ان ربيةً حدثت في قصر (العزيز بالله) فتناقلتها الافواه ورددتها الاندية فطلب الى شيخ القصاص يومئذ [يوسف بن اسماعيل[1]] ان يلهي الناس عنها بما هو أروع منها ، فوضع قصة عنترة ونشرها تباعاً في اثنين وسبعين جزءاً سمرت بها مجالس القاهرة منذ ذلك الحين الى اليوم وهي اليانعة العرب لا ينازعها هذا الشرف الى الآن عمل فني آخر .

وفي القرن الرابع للهجرة كانت فورة هذا الفن ونهضته في بغداد والقاهرة . ففي عهدي (المقتدر بالله العباسي) و (العزيز بالله الفاطمي) كان القصاص الحكوميون والشعبيون يحتشدون لوضع الاخبار ، ويتنافسون في جمع الاسمار ، من الوراقين والرحالين والعامة .

ولكن القصص في العراق كان من عمل الكتاب ، يصورون فيه أنبل عواطف الناس ، وأجمل مواقف الحياة ، ويلقونه زهوراً وعطوراً في مجالس الخلفاء ، وسوامر الملوك ، فكانت بلاغة المحدث وجلالة السامع ونبالة الموضوع تطبع القصة بطابع الجمال والاعتدال والقصر ، وتنزع بها الى السليقة الغربية المجبولة على الايجاز والقصد في الشعر والخطب والرسائل والقصص .

فما جمعه ووضعه (الجهشياري) و (ابن دلان) و (ابن العطار) في القرن الرابع من الاقاصيص في الحب الطروب ، والترف المسرف ، وماوضعه من قبل هؤلاء (سهل بن هرون) و (علي بن داود) و (أبان بن عبد الحميد) من الاسمار في الامثال الرمزية والحكمة العالية والسياسة الرشيدة ، وماصنعه من قبل هؤلاء (عيسى بن دأب) و (هشام الكلبي) و (الهيثم بن عدي) من الاخبار في الهوى العذري والسخاء العربي في الاسلام والجاهلية — كل اولئك موسوم بسمة العقلية العربية الخالصة من حذف الفضول وترك الاستطراد وقلة المبالغة .

(١) وقيل انه الشاعر الطبيب ابو المؤيد محمد بن الصائغ الجزري . وممن قال بهذا الرأي الاستاذ كوسين برسيفال الذي طبع لهذه السيرة ملخصاً في باريس .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أما القصص في مصر فكان غالباً من عمل القصاصين والمسامرين ، يلفقونه من الكتب ، ويتلقفونه من الافواه ، ويحدثون به الدهماء في المجالس العامة . ورزق هؤلاء القصاص على قدر ماعندهم من القصص . فاذا ما انقطع احدهم عن الحديث لنضوب معينه انقطعت به أسباب العيش ، فهم لذلك مضطرون الى تطويل الموضوع بالاستطراد ، وبسط الحادث بالتزيد ، وجذب القلوب بالإغراب والمبالغة .

ومن ثم اتخذ الادب القصصي في مصر شكلاً لا عهد للادب العربي به . ذلك هو شكل القصة بالمعنى الذي نفهمه من كلمة رومان (Roman) في اصطلاح الفرنك ، فان المعروف الشائع من قبل — إنما كان المثل (Fable) والأقصوصة (Conte) والحكاية (nouvelle) وهذه الانواع قد تولد بعضها من بعض على نحو مايرى الاستاذ (برونتير) الناقد الفرنسي من تطبيق مذهب (دارون) على الانواع الادبية ، فالأقصوصة نشأت من المثل ، والحكاية نشأت من الأقصوصة ، والقصة نشأت من الحكاية ، باتساع الخيال ، وفعل المبالغة ، وحكم الزمن . ولكن القصة العربية قد تأخر نشوءها الى القرن الرابع حتى ظهرت بمصر ، لان عملها يقتضي التطويل والتحليل والعلم بطبائع الناس وأوصاف الشعوب ، والعرب في عهودهم الاولى كانوا أبعد بطبيعتهم ومعيشتهم عن هذه الامور ، ثم كانوا في عصور التحضر والاستقرار يؤثرون الخاصة بادبهم فيضطرون في حضرة الملوك ان يراعوا أدب الحديث فلا يغرقون في الحادث حتى يجانب العقل ، ولا يسهبون في السمر حتى يجاوز المجلس ، ولا يسفون في القول حتى يصادم الخلق ، اما القصاص المصري فقد تهيأت له الاسباب اللازمة لخلق القصة : كان سمير الاوزاع والعامة فلم يتقيد معهم بقوانين الخُلق ، ولا بقضايا المنطق ولا بوقائع التاريخ ، فهو يصطنع اللهجة الصريحة ، ويستعمل الالفاظ القبيحة ، ويبالغ في الخلط والتلفيق ، قصداً الى الإغراب والتشويق ، ويعتمد غالباً على المفاجآت القوية ، ويستطرد كثيراً الى الحوادث العرَضية ، ثم يصادم الوقائع ويشوه الحقائق ، لانه يجهلها ، والجمهور الذي يسمعه لا يعلمها ، فاستطاع بذلك ان يزور أغرب الحوادث ، ويجمع شتى الاحاديث ، ويترك لنا هذه المجموعة القصصية التي كانت ولا تزال للخاصة مبعث لذة ، وللعامة مصدر ثقافة .

كان القصاص المصري يعتمد في مادته على مايصدر عن بغداد من الاقاصيص الموضوعة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والمنقولة ، والروايات القديمة الصحيحة والمدخولة ، ثم يضيف الى ذلك ما تنوقل في مصر وما تجمع من الاخبار من التجار والرحالين والبحارين ، فقد كان هؤلاء بعد عودتهم من البلدان النازحة يدونون ما راوا من الاعاجيب ، كما فعل اليعقوبي وابن فضلان وبزُرك بن شهريار مثلاً ، إذ يحدثون بها الناس كأن يقولوا لهم ما حكاه ابن خرداذبة من ان في بعض الامم رجالاً عراض الوجوه ، سود الجلود ، لا تزيد قامة أطولهم على اربعة أشبار ، وفي جلودهم نقط حمر وصفر وبيض ، وإن فيهم من له أجنحة يطير بها ، ومن رأسه كرأس الكلب ، وجسمه كجسم الثور او الاسد ، وما جاء في كتاب (المستطرف) من ان في (البلغار) من طوله اكثر من ثلاثين ذراعاً ، يأخذ الفارس تحت إبطه ، كما تأخذ الطفل الصغير ، ويكسر ساقه بيده كما تقطع حزمة البقل . وما رأى الرحالون بالطبع هذه الاشياء ، وانما رأوا صورها على الآثار التي خلفها البابليون والفراعنة والرومان والفرس فظنوها حقيقة .

كان القصاص يتناول هذه الاخلاط فيؤلف منها قصة كثيرة الفصول والفضول ، تدور حوادثها على بطل واحد ، ولكنها تعرض من قبيل الاستطراد الى حوادث شتى ، لا يصلها بحياة البطل الا صلة واهية . انظروا مثلاً كيف صنع قصة (عنترة) : بناها على حادثة أصلية صحيحة : هي (حرب داحس والغبراء) التي شبت لظاها بين عبس وذبيان قبيل الاسلام . ثم دارت رحاها على قطب من أقطابها وهو (عنترة بن شداد) العبسي ، فذكر نشأته في حادثة خرافية جذابة ، ثم وصف رجولته وبطولته وفصاحته وحبه وكرمه ، وما اتصل بذلك من عادات البدو ، كالضيافة والحماسة والإجارة والشعر والغزو والسلب والثأر ، ولكن حروب عبس وذبيان مهما هوّل فيها وطول لا تشغل بال السامعين طويلا ، ولا تدرُّ عليه من المال كثيراً ، فهو يوقع الخصومة بين عنترة وبين فرسان العرب فيقابلهم ويقاتلهم ويسلمهم جميعاً بالنكول والعجز . والقصاص في اثناء ذلك ينقلنا في السهول والاودية ، ويقلبنا بين المضارب والاخبية ، حتى جلا لنا من الحياة الجاهلية صورة صادقة لا تتمثل في خواطركم من طريق التاريخ المقتضب المفكك الا بعد جهد . ثم يرى مع ذلك ان الشوق شديد ، وان الامد الذي يريده بعيد ، فيخرج البطل من الجزيرة العربية ويقدمه الى مصر بلد القصاص فيقود عنترة بها جيوشاً ، ويهلك شعوباً ، ويبتني حصوناً لا تزال العامة تعرفها الى اليوم باسمه ، ثم يذهب الى القسطنطينية ويزوجه من امرأة رومية . حتى اذا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ظفرت المنون اخيراً بالشجاعة الخارقة عاد ابنه من (بيزنطة) الى الحجاز فطالب بعرش ابيه وحارب معاديه ومغتصبيه ، والميتة التي اختارها القصاص لعنترة تدل على قدرة فنية عجيبة ، وكان (لامرتين) لا ينفك بها معجبا ، ومنها طروبا ، فقد ذكر أن (الاسد الرهيص) احد خصوم (عنترة) المقهورين الموتورين رماه غيلةً بسهم مريش مسموم ، فلما أحس البطل فعل الموت في جسمه الوثيق خشي على قومه من بعده شرّ الهزيمة وعار الفشل ، فوقف حيال العدو الثائر ممتطياً جواده ، متكئاً على رمحه ، وأمر جيشه بالتقهقر والنجاة . فارتد الجيش وبقي هو واقفاً يعالج سكرات الموت ، والعدو متحفز للهجوم ، ولكنه لا يجرؤ عليه خوفاً من عنترة حتى فاضت روحه على صهوة جواده ، وكان الجيش المتقهقر قد بلغ مأمنه ، فلما طال وقوفه ، وجاوز الحد سكونه ، ارتاب الجيش المهاجم ، فدبر الحيلة لكشف الامر فأرسلوا الى جواده حجراً نهيجه ، فلم يكد يراها الفرس حتى وثب وثبةً خرّ لها فارسه على الارض صريعاً .

والغالب فيما أظن ان القصاص الماهر قد اخذ هذا الختام البارع من مصرع (سليمان بن داود) أمام عماله المسخرين من الجن ، وقد أجملته البلاغة المعجزة في هذه الآية الكريمة « فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته . فلما خرّ تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين » .

ظهرت هذه القصة الحماسية الجميلة في عصر كان وادي النيل فيه منيع الحوزة ، باهر الجلالة ، صافي المورد ، لا يكدره والغ ولا واغل : فكان استقلاله يلهم العزة ، وعروبته توحي الشهامة . فلما هبت الاعاصير الهوج بالبربرية الجامحة ، فأطفأت منائر بغداد ، وزعزعت عرش الخلافة ، وعبثت العجمة الجاهلة بتراث العرب : من علم وادب ، وخلق ودين ، وعدت ذئاب الغرب باسم الصليب على الشام ومصر ، تثلج الهلال الآفل ، وتنهش المجد الطريد — رأينا القصة المصرية تصور هذه الحياة الحزينة تصويراً عجيباً . ورأينا القصاص قد اتسع خياله ، بقدر ما ضاق علمه ، فهو يخلق بلاداً لم توجد ، ويتصور حوادث لم تقع ، ويعتمد في العمل على الجن والسحر والخوارق .

فبين القرنين السادس والثامن من الهجرة — ظهرت في مصر سلسلة من القصص الطويلة الجذابة غفلاً من أسماء مؤلفيها : لان القصاص المحترفين إنما كتبوها لانفسهم فيما أرجح

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم توارثوها خلفاً عن سلف حتى بلغت عهد المطبعة ، فنُشرت على شكلها ، دون اسم ولا وسم ولا تعريف .

وأشهر قصص هـذا الدور سيف بن ذي يزن ، والاميرة ذات الهمة ، وفيروز شاه ، فأما أنها كتبت في هذي العهود فذلك واضح لادنى نظر من لغتها وأسلوبها وما تدور عليه من عادات واعتقادات وصور ، وأما أنها كتبت بمصر فذلك ثابت من أماكن وقائعها ، واسماء اشخاصها ، فأبطالها جميعاً عاشوا بمصر ، حتى الذين لم يروها أقدموهم اليها ...

فالمهلهل بن ربيعة كان الوجه البحري ميدان حروبه ، وسيف بن ذي يزن هو الذي اجرى النيل من جبال القمر بكتابه السحري الذي دفنه في جزيرة الروضة بالقاهرة ، وهو الذي خطط مدن مصر ، فالجيزة اسم من أسماء زوجاته ، وسبك الثلاث ودمنهور الوحش قائدان من قواده ، والنيل تفرع الى فرعي رشيد ودمياط : لان الملك (سيفاً) وهو قادم به من السودان وقف بقاتل الكفار الذين اعترضوه في رأس الدلتا فوقف النيل بوقوفه ، ولكن الماء وراءه قد عب عبابه وطفحت أواذيه فاندفق شطر منه الى الشمال . واتجه الملك بالشطر الآخر الى اليمين .

ومدينة (سمنود) أصلها سماء نود لان الحكيم (نودا) صاحبها قد عقد عليها سماءً بالسحر توقعاً لغارات الملك سيف وهو ذاهب بالنيل الى مصبه . ثم دفنه المؤلف أخيراً فوق جبل المقطم ، وقال ان قبره هو الذي يعرف الآن بالجيوشي .

ولقد كان للحروب الصليبية أثر ظاهر في نسج هذه القصص في هذا الدور ، فان العواطف الدينية والحماسة القومية التي ألهبتها في قلوب المسلمين هذه الغارات قد حملت القصاص على ان يتملق هذه العواطف ويغذيها بما يلفق من الاشعار والاخبار في فضائل الجهاد والاستشهاد والصدق والصبر .

فسيف بن ذي يزن كان حنيفاً مسلماً يقتحم المعاقل والأرصاد على الوثنية والشرك في معالم الارض ومجاهلها ، وهو يقول : « لااله الا الله إبراهيم خليل الله » . وكذلك سائر الابطال في سائر القصص ، الا انهم كانوا بعد الاسلام لا قبله .

وبين القرنين الثامن والعاشر للهجرة كان حكم المماليك بفساده ، وحكم الاتراك باستبداده ، قد أتيا على ما بقي من ار كان الاجتماع ، وحللا أواصر الاخلاق والطباع ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومُني الناس بإلحاح الأوباء ، وشراهة الجباة والرؤساء ، واستشعرت نفوسهم ذل الحرمان والقهر ، فأخلدوا الى التصوف اوالى المجون ، وعالجوا همومهم بالحشيش والافيون ، وحارب بعضهم بعضاً بالشطارة والحيلة ، وتقاتلوا على حطام الحياة بالخديعة والغيلة ، وحال نظام الفتوة في مصر الى مناسر من اللصوص والعيارين ، يقطعون متون السبل ، ويعبثون بالامن والناس من ضعف السلطان يخضعون لهؤلاء ويجلونهم إجلال الزعماء ويتناقلون حوادثهم وأحاديثهم بالإعجاب والمبالغة فظهر حينئذ ذلك القصص الوضيع النسيج يمثل هذه الحال بحقارتها وسفالتها ، ويصور تلك البيئة بخرافاتها وجهالتها ، كالقصص الذي يدور على (علي الزيبق) و (احمد الدنف) و (حسن شومان) و (دليلة المحتالة) او (دالة المحتالة) كما يسميها (المسعودي) . وأصبح أسلوب القصاص في هذا الدور دائراً بين الجهالة والقحة . فهو يستعمل في قصصه لغةً مبتذلة وتراكيب فاحشة وجملاً محفوظة ووقائع واحدة يرددها في كل قصة . ويكررها في كل مناسبة . وكانت شهوة السهر والسمر قد بلغت مداها في ذلك الحين لتغلب البطالة على أهل القاهرة واعتماد الناس في جمع الثروة على الحيلة والشعوذة والسحر والتقدر . فتكدس في السوامر حول القصاص وقد تجمع لهؤلاء من خلال القرون ذخيرة وفيرة من الاساطير والاسمار . فهبوا يدونونها كما دونت تلك السير من قبل . فكان مما دون في تلك الحقبة الغريبة كتابنا وموضوع محاضرتنا (الف ليلة وليلة) .

(الف ليلة وليلة) ياسادة كتاب شعبي تمثلت فيه طوائف الشعب وطبقاته ، وتراءت من خلاله ميوله ونزعاته ، وتكلمت فيه أساليبه ولهجاته ، فهو كالشعب وكل شيء للشعب . قد لقي من جفوة الخاصة وترفُّع العلية أذىً طويلا ، أغفله الادب فلم يتحدث عنه ، واحتقره الادباء فلم يبحثوا فيه ، وراءَه (محمد بن اسحق المعروف بابن النديم) فقال إنه غثٌ بارد ، لانه نظر اليه نظره الى الادب الارستقراطي الذي يصور ترف الخيال وجمال الصناعة . فلما حقق العصر الحديث تغلُّب الديمقراطية وسيادة الشعوب ، واستتبع ذلك عناية أصحاب المذهب الإبداعي (الرومانتكيين) في الغرب بحياة السوقة والدهماء عنايتهم بحياة الملوك والنبلاء وهبَّ رواد الاستعمار وعشاق الآثار ينقبون عن (فولكلور[1]) الشرق اخذ أدبائنا يحكم

(١) فولكلور (Folklore) كلمة انكليزية يراد بها في الادب الاوربي — مجموع التقاليد والاساطير والاشعار الشعبية لأُمة من الامم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

التقليد والعدوى — يعطفون على أدب السواد ، فدونوا اللغة العاميـة ، وجمعوا الأغاني الشعبية ، ونظروا بعض النظر في فن القصص ، وسمعوا في رجفة من الدهش — الى قول الاوربيين : ان في أدبنا الموروث كنزاً دفيناً — من هذا النوع له في أدبهم أثر قوي وشأن نابه . ولكنهم لم يخلدوا بدياً الى هذا القول بثقة . واستكثروا على هذا الكتاب الخرافي السوقي ان يذكر في الكتب ويوضع في المكاتب وينبه الناس الى فضله ، ويهنأ العرب بانتاجه حتى رأينا بعيوننا انه نقل منذ أوائل القرن الثامن عشر الى كل لغة . وحل الموقع الاول من كل أدب ، وظفر باعجاب النوابغ من كل أمة . حتى قال (فولتير) انه لم يزاول فن القصص الا بعد ان قرأ الف ليلة وليلة اربع عشرة مرة ، وتمنى القصصيُّ الفرنسي (استندال) ان يمحو الله من ذاكرته (الف ليلة وليلة) حتى يعيد قراءته فيستعيد لذته .

ثم قرأنا أن أقلام المستشرقين اخذت تتجادل منذ أوائل القرن التاسع عشر في اصله ، وتكشف عن مناحي جماله وفضله ، وان دوائر المعارف الكبرى سجلته في حقولها ، وخصته بالطريف الممتع من فصولها . وان الاستاذ (فكتور شوفان) أفرد له في كتابه (تاريخ المؤلفات العربيـة) جزءين سرد فيهما مخطوطاته ومطبوعاته وترجماته ، وجزءين آخرين خص فيهما طائفـة كبيرة من حكاياته ، وان الكتّاب الروائيين قد استغلوه للسينما والمسرح فاستخرجوا للاول رواية (لص بغداد) وللثاني (قسمت) او (القضاء والقدر) ، وان رجال التربية والتعليم في فرنسا والمانيا وانكلترا — قد اقتبسوا منه أدباً للاطفال فاختصروه وصوروه ، ولقيتُ انا منذ عامين في القاهرة مستشرقاً اسبانياً وآخر اميركياً قـد أرسلتْ الاول جامعته . والثاني جمعيته ، لينقبا في مدن الشرق عن مخطوطات (الف ليلة وليلة) .

حينئذ أخذت خاصتنا تقرؤه وتسمعه ، ومطابعنا الراقية تصححه وتطبعـه ، وأدباؤنا المترفعون يشيرون اليه في تاريخ الادب . ولكنهم الى اليوم لم يدرسوه دراسةً علمية تكشف عن لبابه ، وتستقطر النطف العذاب من عبابه ، وهو على الرغم من جميع مافيه ، قد سجل على توالي القرون أطوار اجتماعنا ، وصوّر بالألوان الزاهية مختلف أخلاقنا وطباعنا ، ونشر في الشرق والغرب أنوار حضارتنا وازدهار ثقافتنا وجمال تقاليدنا ، وأتم نقص التاريخ الذي تجاهل الشعب . والأدب الذي احتقر العامة . فكان منه للناقد الاجتماعي والمؤرخ الفيلسوف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والاديب الباحث والكاتب القصصي — منهل ثر التنابيع ، صافي المورد . وهو — فضلاً عن ذلك — كان للشعب العربي في زمن انحلاله ، وضياع استقلاله ، وصعوبة اتصاله — قبس يبعث الحرارة في النفوس الخامدة ، وذكرى تلوع القلوب أسيً على المجد الذاهب ، وصلة ثقافية تجمع المنازع المتفرقة على الوحدة .

يكاد يكون (الف ليلة وليلة) علماً ثانياً على بغداد ، بل ربما كان أدلّ عليها اليوم في نظر الشعوب الحديثة من شأنها الرفيع في الحضارة ، ومكانها البارز في التاريخ : ذلك لأن آثارها المادية قد ألح عليها طغيان الدهر وفيضان النهر حتى محواها . اما هي في هذا الكتاب فلا يزال سناها باهياً لم يخبُ ، وصداها داوياً لم ينقطع ، فهو للحضارة العربية في (بغداد) متحف زاخر بالاعاجيب ، دونه ما للحضارة الفرعونية في مصر من معابد ومقابر وكنوز ، لانه يسير في البلاد وهي ثابتة ، ويتحدث الى جميع الشعوب وهي صامتة ، حتى أصبح لفظ (بغداد) في جميع اللغات مرادفاً للعمران الزاهر ، والترف العجيب — واسم الرشيد رمزاً للعدل الشامل والزمن الخصيب . ذكر احد كتاب الانكليز فترة من الزمن الرخي فقال : كان ذلك في العصر الذهبي إذ كان يحكم الخليفة العادل هرون الرشيد .

ذلك بعض فضل الكتاب على (بغداد) . وقد ذكرت من قبل أنه لم يُؤلف على هذه الصورة فيها ، ولم يؤلفه احد من بنيها ، وانما جمع في مجالس القصص في القاهرة ، ودون على هذا الشكل في القاهرة ، وطبع اول طبعة كاملة في مطبعة الحكومة بالقاهرة . ثم كان حظ القاهرة من كتاب (الف ليلة وليلة) ان صوّرها للناس مثابةً للاحتيال والشطارة والشعوذة والجهل بينما يصور (بغداد) مهبطاً للفضل ، وموطناً للنبل ، ومعدناً للكرم ، وعشاً للحب ومظهراً للترف ، حتى كان من جرّاء ذلك ان اهل (بغداد) لا يزالون يقولون (عياق مصر وحيال مصر) ونحن ما زلنا نقول في القاهرة : تبغدد فلان اذا أظهر البغددة . وهي كلمة مشتقة من (بغداد) تدل على السرف والترف والبطر والنبل !

وسبب اختلاف حظ البلدين من الكتاب ان القصاص المصري اذا تحدث عن مصر — وهو منها وفيها — تحدث عما يرى ، وعبر عما يسمع ، وقد عشنا في اي عهد من عهود الضعف والانحلال ظهر هذا الكتاب بمصر . اما اذا تكلم عن بغداد فإنما يتأثر بعوامل اربعة : يتأثر بما وُضع من الاقاصيص الجميلة في بغداد — ويتأثر بما ملأ الآذان وشغل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاذهان عن عظمة بغداد وأبهة الخلافة — ويتأثر بما ركّب الله في طباع الناس من تقديس الماضي ، وتعظيم البعيد — ويتأثر بجهله أحداث التاريخ وتطور الامم ، فيأبى وهو في القرن العاشر من الهجرة ان يعترف بموت (الرشيد) ، ومصرع (بغداد) ونكبة المجد الأثيل .

اما بعد فاني أحاول الآن ياسادتي ان أكشف عن حقيقة (الف ليلة وليلة) بمقدار ماتهيأت لي المراجع في (بغداد) ، بعد ان توفرتُ على قراءته ودراسته في مختلف الطبعات ، ووقفتُ على ماتشرعنه من الابحاث في بعض اللغات . وما أريد بالطبع ان أدفع السأم في نفوسكم بذكر مالايحتمله المقام من التحليل المفصل ، وانما أجتزيء بذكر مالا يسع الرجل المثقف جهله من امر هذا الكتاب .

وهنا يدركنا المساء كما يدرك شهر زاد الصباح ، فنرجيء البقية الى الاسبوع المقبل اذا تفضلتم بالسماح .

احمد حسن الزيات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الكلمات الايوبية

—((●))—

وأعني بها الكلمات التي تولدت في عهد الدولة الايوبية والدول التي خلفتها في مصر والشام : كنتُ — وانا أتصفح الجزء الاخير (الثامن) من نهاية الارب لمؤلفه النويري المصري — أعثر على كلمات جارية في لغة تخاطب المصريين في ذلك العهد . وهي كلمات (عامية) — أو نكرهها فنسميها (مولدة) — مما لا يعرفه فصحاء العرب ولم يدونه أرباب المعاجم . والذي جعلني أهتم بتلك الكلمات أنها مازالت الى اليوم شائعة على ألسنتنا وعائشة في لغة تخاطبنا : فهي إذن قد عاشت نحو ثمانية قرون . ومايدرينا لعلها كانت حية قبل ذلك التاريخ ايضاً .

والبحث في كلمات اللغة من حيث نشوءها وتطورها ومرور الازمنة المختلفة عليها — هو فن اوضحى حديث من مناحي المباحث اللغوية التي يعنى بها علماء اللغات الراقية ويضعون فيها المصنفات النفيسة . ومازال هذا الفن — أو الابتكار في البحث اللغوي — مجهولاً لدينا معشر العرب ، بيد أن الانتباه اليه ، والفكرة فيه قد أخذت تنمو . وسيأتي زمن يكون فيه لكلمات لغتنا (ولا سيما غير القاموسية منها) تاريخ ومؤرخون ومصنفات . واخشى ان يسبقنا الى هذا الضرب من خدمة لغتنا العربية اولئك المستشرقون الفضلاء كما فعل المستشرق الكبير (دوزي) مذ جمع الكلمات التي أهملها أرباب المعاجم العربية وأودعها كتاباً ضخماً ذا جزئين .

وهذه الكلمات التي سنسردها في مقالنا هذا من جملة الكلمات التي تولدت بل الأجدر ان نقول من جملة الكلمات التي كانت شائعة الاستعمال في عهد الايوبيين وخلفائهم كما كانت شائعة كذلك في الاقطار التي حكموها وخاصةً القطرين المصري والشامي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكما دعونا الكلمات التي كانت شائعة في عهد الخلفاء العباسيين — (الكلمات العباسية) — يحسن ان نسمي الكلمات التي كانت شائعة في عهد الايوبيين الى زماننا هذا — (الكلمات الايوبية) — والكلمات التي تولدت في عهد اختلاط الافرنج الصليبيين والسوريين — (الكلمات الصليبية) وستأتي الاشارة في مقالنا هذا الى كلمة من تلك (الكلمات الصليبية) .

ولا نعلم ان كانت بعض تلك (الكلمات الايوبية) مما ورثه الايوبيون من العباسيين او لم يرثوه منهم بل تولد في زمنهم هم . لكننا نعلم يقيناً ان كثيراً من تلك الكلمات قد ورثه العهد التركي العثماني من العهود التي سبقته ثم انتشر في عهد سيطرة العثمانيين على مصر والشام . ومازال شائعاً بيننا الى هذه الايام .

***

فأول تلك الكلمات الايوبية كلمة (ديوان) على ان كلمة (ديوان) مما ورثه الايوبيين ممن قبلهم كما ورّثوها هم لمن بعدهم او يقال ان كلمة (ديوان) هي حجر الزاوية في البنائين بناء (الكلمات المعرّبة) في الاسلام وبناء (الكلمات الادارية) في الاسلام . أليس أول من استعملها عمر بن الخطاب ؟ وذكر بعضهم ان معنى (الديوان) كان موجوداً قبل ان يعرّب لفظه : إذ انه (اي المعنى) وجد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم . فقد روى (حذيفة) رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : (اكتبوا لي من تلفّظ بالاسلام من الناس . فكتبنا له الفاً وخمسمائة رجل) . وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انني اكتُتبت في غزوة كذا وامرأتي حاجّة . قال إرجع فاحجج مع امرأتك) . فيفهم من هذين الحديثين أن الاحصاء و(قيد النفوس) او (نفوس الغزاة خاصة) نشأ في عهده صلى الله عليه وسلم . أما تسمية ذلك بالديوان فكان في عهد عمر :

ذلك انه بعث بعثاً وعنده الهرمزان الفارسي فقال لعمر: هذا بعث قد أعطيت أهله الأموال فان تخلف رجل منهم وأخلّ بمكانه (اي ترك المكان او العمل الذي وكّله اليه أميره) فمن أين يعلم صاحبك (أي أميرك الذي وليته ذلك الجيش) فأثبت لهم ديواناً . فسأله عمر عن (الديوان) ففسره له فكلمة (ديوان) أم الكلمات الادارية الدخيلة .

وكان (الديوان) ديوانين: ديوانا بالشام : لغته الرومية ، وديوانا في العراق : لغته الفارسية . ثم تحولا الى اللغة العربية . ويحكى في سبب تحول ديوان الشام الى العربية أن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بعض كتاب الروم في الديوان الشامي أراد ماء لدواته فبال بالدواة . فبلغ الخليفة عبد الملك بن مروان خبره فأدبه وكان ذلك من جملة الاسباب في تحويل الديوان من الرومية الى العربية .

ومن الكلمات الايوبية الادارية كلمة (المجلس) بمعناها الاداري المتعارف اليوم وكلمة (كتابة الانشاء) و (كتاب الانشاء) و (كتابة الحساب) و (كتاب الحساب) ونسميها اليوم المحاسبة و (كتابة التصرف) و (كتاب التصرف) وكانوا يريدون (بالتصرف) ما نريده اليوم بالاعمال الداخلية او الاعمال الادارية مما يقابل الاعمال المالية والعسكرية . ومن كلمة (التصرف) هذه جاءت كلمة (المتصرف) و(المتصرفية) عند الاتراك العثمانيين . وكلمة (الخزانة) ويريدون بها مستودع الامتعة والثياب والتقادم والخلع وشاعت لدى الاتراك العثمانيين باسم (خزينة) و (خزنة) لكنهم يريدون بهما مستودع النقود والاوراق المالية . وكلمة (جامكية) بمعنى الراتب والاجر . و(العوائد المقررة) وهي صلات وهدايا تخص بها الحكومة بعض ذوي المنزلة في الدين أو الشرف او العلم . وكلمات (الناظر) و (النائب) و (المباشر) . وفي غزة اليوم أسرة تسمى بالمباشر وهي من أصل مصري . ومازالت كلمة (مباشر) تطلق في محاكمنا الشرعية على الذي يجلب الخصوم او يبلغ اوراق المحكمة (الدعوتية) ويسمى (المحضر) ايضاً . وكلمات (الرتب) و (المناصب) و (أرباب المناصب) ويريدون بها ما نريده بها اليوم . وكذلك (التشريف) و (التشاريف) بمعنى الرتب الرسمية وهي شائعة في الدولة المصرية اليوم بمقابل كلمة (الرتب) الشائعة عندنا . وكلمة (المرسوم) و(المنشور الشريف) وجمعها (المناشير) وهو مايتضمن الاوامر السلطانية الصادرة بالتعيينات الادارية او القضائية او العلمية وترادفها في الدولة العثمانية كلمة (فرمان) وهي كلمة فارسية . وكلمة (دستور) ولها معانٍ عرفها العرب الاقدمون ثم شاعت في الدول الاسلامية الاعجمية بمعنى (الإذن) وبمعنى (الوزير) وبمعنى (الكتاب) يتضمن قوانين الدولة ونظمها وأوامرها . وكلمة (كشف) بمعنى تقرير او بيان ينظمه الموظف ويفصل فيه أعمالاً قام بها او حسابات أجراها . ومثل (الكشف) كلمة (عرض) يودعه رئيس الديوان تفصيلا لاستعراض الجند وقيود رواتبهم . وكلمة (تحرير) بمعنى الكتابة و (ضبط) تقييد الشيء وكتابته و (جريدة) و (جرائد) للسجلات والدفاتر التي تقيد فيها المعاملات الحكومية . وغلبت اليوم على دفاتر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قيود المحكمة الشرعية . وكلمة (شطب) كانوا يريدون بها نقل [المعاملة] او [القيد] من دفتر الى دفتر . ولابد أنهم يمدون خطاً بالحبر على المعاملة الاولى إشارة الى إهمالها وعدم الاعتداد بها وبهذا المعنى « معنى إمرار الخط على السطر وإفساده » نستعملها نحن اليوم مذ نقول [اشطب] و[شطّب] وفي اللغة الفصحى [ارمج] و[رمّج] يقال رمج الكاتب ما كتبه إذا أفسد سطوره بعد كتابتها . وكلمة [جندية] بمعنى العسكرية والتجند و[أجناد الحلقة] الحلقة في اللغة العربية بمعنى السلاح وقد استعملها الايوبيون وخلفاؤهم بمعنى الجنود باسلحتهم يقامون في مواضع المخافة للحراسة والخفارة . ومثلها [المسلحة] و[المساخ] وهي مراكز الجنود باسلحتها تعدُّ للغرض المذكور . ومازال يوجد مكانان في الطريق بين بيروت وطرابلس الشام على ساحل البحر أحدهما يسمى [ابوحلقة] على بعد كيلومترين اوثلاثة من طرابلس فيه عين ماء وكان في زمن الجراكسة المصرية مركزاً للجنود الخفراء — والمكان الآخر يسمى [المصيلحة] بياء التصغير محرف عن [مسيلحة] تصغير [مسلحة] اسم عقبة كؤود فيها بناء شبه قلعة صغيرة كانت تقيم فيها الجنود للخفارة وحفظ القوافل والمسافرين .

وكلمة [استدعاء] والاستدعاء في اللغة بمعنى الطلب ثم صار يطلق على كتاب الشكوى الذي يرفعه المستدعي الى الحاكم طالباً انصافه اوالنظر في مظلمته او تسوية بعض مشاكله مما هو من وظيفة ذلك الحاكم الذي قدم اليه الاستدعاء . فمعنى كلمة [الاستدعاء] في الاصطلاح موافق لمعناها في أصل اللغة العربية وهو الطلب . على ان كلمة [طلب] نفسها مازالت الى اليوم تستعمل في الحكومة المصرية بمعنى الاستدعاء أونوع آخر من أوراق المعاملات الرسمية . فلاحاجة الى ان يقال ان كلمة [استدعاء] محرفة عن كلمة [استعداء] بتقديم العين على الدال . ولعمري ان هذه الكلمة [استعداء] أفصح وأدل على المعنى الاصطلاحي من أختها : ذلك ان معنى [استعدى] هو ان يتقدم المظلوم الى الحاكم ويستعديه على خصمه اي يطلب منه ان [يُعديه] ومعنى [يعديه] يزيل عدوانه عنه ومعنى [العدوان] الظلم والتعدي . فهمزة [أعداه] هي للإزالة كالهمزة في [أشكاه] القاضي اذا أزال شكايته وأنصفه من خصمه . فالاستعداء في اللغة هو طلب إزالة العدوان . فاذا كُتب هذا الطلب في كتاب صح ان نسمي الكتاب [استعداء] فيكون الفرق بين [الاستعداء] و[الاستدعاء] ان [الاستدعاء] في اللغة يدل على مجرد الطلب . أما [الاستعداء] بتقديم العين فيدل على طلب خاص وهو إزالة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العدوان عن المستعدي المظلوم . فالاستدعاء اصطلاح حسن . ولكن الاصطلاح على [الاستعداء] أحسن منه . على اننا يمكننا مذ الآن ان نخصص كلمة [الاستعداء] بتقديم العين لكتب الشكاوى التي ترفع الى قضاة العدل . وتبقى كلمة [الاستدعاء] بتقديم الدال في كتب المصالح الاخرى التي ترفع الى سائر الحكام .

والمستودعات الاميرية كانت تسمى في عهد الدولة الايوبية [البيوت السلطانية] وتختلف اسماؤها باختلاف مايجعل فيها : فهي [الشراب خاناه] و[الفراش خاناه] و[السلاح خاناه] الخ وكأن كلمة [خاناه] بمعنى البيت كانت تلفظ في التركية القديمة بالف مدّ بعد النون . اما في التركية العثمانية فاختزلت الى [خانه] فيقال [جبخانه] و[طوبخانه] . وكان لكل بيت مباشر هو المسؤول عما فيه . قال في [نهاية الارب] مبيناً وظيفة مباشر [الفراش خاناه] : « ويعرض ما يسلمه للفراشين عليهم ... ويضبط ما يتسلمه الصناع الذين يفصلون الخام الجديد وغيره من آلات [الفراش خاناه] من قماش بياض ومصبوغ وغزل وجلود ومشمعات الخ » .

ففي هذه العبارة عدة كلمات أيوبية : منها [الفراشون] وهم الذين يتولون أمر فرش قصور العظماء وغلبت اليوم في مصر على الذين يلتزمون تقديم آلات الضيافة من فرش وغيره في الولائم والمآتم . وكلمة [الخام] الظاهر انه أراد بها مايراد بها في بعض بلاد الشام اليوم وهو ضرب من الثياب البيض غير خالصة البياض ولذا تسمى في دمشق [البطانة السمراء] وفي القاموس [الخام الجلد الذي لم يدبغ والكرباس النسيء لم يغسل وهو فارسي معرب] فاستعماله اليوم في الثياب السمراء موافق لمعنى [الكرباس] لأن الكرباس الثوب الأبيض من القطن او الثوب الخشن . والخام من القطن ايضاً وهو خشن . وكذلك يطلق لفظ [الخام] اليوم في الفن أو الصناعة — على المواد الأولية قبل ان تتحول الى مصنوع كالصوف والقطن قبل نسجهما والجلد قبل صنعه والمواد المعدنية قبل صهرها الخ . وهذا الاستعمال موافق لمعنى الخام في اللغة كما قال القاموس غير أن القاموس خصه بالجلد . وأهل الصناعة والاقتصاد اليوم تخطّوا به الى كل مادة تُصنع : جلداً أو غيره . وكلمة [قماش] نريد بها اليوم ما كانوا يريدونه في العهد الأيوبي أعني الثياب المختلفة التي تلبس أو تفرش . وهو استعمال عامي إذ للقماش في اللغة معنى غير هذا . وقول المؤلف [قماش بياض] يوافق استعمالنا اليوم من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إطلاق [البياض] على الثياب البيض الرقاق التي تفصل أقمصة وسراويلات ويسمى هذا الضرب من القماش في دمشق [مادام] وفي القديم كان يسمى الكرباس ويجمع على الكرابيس لكن الكرباس يكون فيه خشونة كما يفهم من كتب اللغة وكما يفهم من استعماله مذ يقولون [وكان فلان متقشفاً يلبس الكرابيس] .

وكلمة [مشمعات] ايضاً مما نستعمله اليوم ونريد به ثياباً تطلى بالشمع ويتقى بها المطر ويسمى المشمع الذي يلبس لاتقاء المطر في اللغة العربية [ممطراً] على وزان منبر . قال عمر ابن ابي ربيعة :

[فأسرج لي الدهماء واعجل بممطري ولا يعلمن خلق من الناس مذهبي]

وكلمة [جندرة] ورد ذكرها في نهاية الارب مع تفصيل الثياب ورفوها وحشوها فلعلهم يريدون بها ماذكره علماء اللغة مذ قالوا جندر الثوب اذا أعاد وشيه بعد ذهابه قال الجوهري وأظنه معرب . ونريد بجندرة الثوب اليوم تموجاً خاصاً في وشي الثوب او في صبغه وتلوينه .

و [آلة الحمام] يريدون بها ما نريده اليوم مما يستصحبه المغتسلون في الحمامات من طشوت وطاسات .

وكلمة [طواشيه] مما استعملوه في العهد الايوبي ويستعمل اليوم في ذلك المعنى ايضاً وكانوا في العهد الأموي يدعونهم [خصيان] .

وكلمة [بخش] بضم الباء يريدون بها [الثقب] لكنها اليوم أصبحت عامية مبتذلة .

وكلمة [نفر] مراداً بها الشخص الواحد فيقولون كما نقول اليوم: اخذ القائد معه خمسين نفراً مثلاً اي خمسين نفساً . ولها معنى في اللغة غير هذا .

وكلمة [قلوب] ذكرها في نهاية الارب مع الأبازير والتوابل ويريدون بها لب الفستق واللوز والبندق وتسمى في بعض بلاد الشام [قلوبات] أما اهل دمشق فيسمونها [مكسرات] .

وكلمة [الأقسما] يذكرونها مع الفقاع [ضرب من الأشربة] والفواكه والحلويات ولعلهم يريدون [بالأقسما] ماذكره الخفاجي في شفاء الغليل قال هو نقيع الزبيب وهو معرب [أبسما] . أما الاقسما في بعض بلاد الشام فيراد به نحو شراب التوت او الليمون محلى بالسكر ومبرداً بقطع الثلج التي تبقى جامدة تقعقع تحت الاسنان . وقد أخذت كلمة [الأقسما] تموت رويداً رويداً وتخلفها كلمة [شربات] .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويقولون [دسوت النحاس] الدست له عدة معانٍ في اللغة وليس منها معنى القدر الكبير كما هو الشائع على ألسنة العامة اليوم فهو إذن مولد زيرادفه [الخِلقين] والخلقين كلمة يونانية .

وكانوا يقولون [الركانيب] بتقديم الراء على الكاف ويريدون بها المغارف وهو لفظ شائع الى اليوم في مصر لا في الشام لكنهم [أي أهل مصر] اليوم يلفظونه على أصله فيقولون [كرانيب] بتقديم الكاف جمع [كُرْنُبه] وهي المغرفة . قال في مستدرك التاج إنها كلمة مصرية . فأنت ترى ان المصريين الأقدمين كانوا يلفظونها محرفة مذ يقولون [ركانيب] لا [كرانيب] . وليس هذا بعجيب منهم: فان أبناءهم اليوم يقولون في [أرانب] جمع أرنب [أنارب] بتقديم النون . ومازلت أذكر السيد احمد بك الحسيني رحمه الله مذ قال لي أما تحب لحم الانارب ؟ فلم أفهم ذلك حتى فسره لي .

وكانوا يستعملون كلمة [لخصم] اي التنزيل في الحساب كما نستعملها اليوم وكذا كلمة [وصول] . ويقول المصريون اليوم [ايصال] اما في الشام فمازالوا يقولون [وصول] و[وصل] . وقال في شفاء الغليل انها مولدة عامية . ولقد تظرّف بعض المولدين مذ قال :

[أنفقت عمري في هواك وليتني أُعطى وصولاً بالذي أنفقته]

وكذلك يقولون [غلّق ماعليه من أجرة الضمان] أي أدى بقيته كما نقول اليوم وهو تعبير عامي . أما قولهم [عَبَر الشيءَ] اي وزنه ليعلم مقدار ثقله بالنسبة الى موزون آخر — فهو فصيح لامولد . ومثله فعل [استعبر الشيءَ] وهو المستعمل في بلادنا اليوم لمعرفة الموزون او المكيل . وكذلك كلمة [إردب] في الكيل المخصوص مازالت مستعملة الى اليوم . ومثلها [فدان] في المساحة .

وسألني بعض كبار المهندسين عن كلمة تقوم مقام (Precis) الافرنسية مذ يقولون « مسح المهندس الارض الفلانية فبلغت خمسين متراً بالضبط » فان الكلمة الافرنسية لايجوز لنا استعمالها لعجمتها وكلمة [بالضبط] لابتذالها . فقلت يمكنك ان تقول [بالتمام] أو [تماماً] . ثم اتفق ان رأيت صاحب [نهاية الأرب] يقول (ص٢٤٤) في صدد معرفة عمر الغلام الذي تؤخذ عنه الجزية « يُدار خيط على عنق الصبي مرتين تحريراً ثم يوضع طرف الخيط بين أسنانه وتُدخل أُنشوطة في رأسه فان دخلت دل ذلك على بلوغه وإلا فلا » فقوله [تحريراً] قد أراد به في غالب الظن ماتريده نحن اليوم في قولنا [بالضبط] وما يقوله

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الافرنسيون بقولهم (Précis) و (Precisement) فماعلينا اليوم الا ان نحيي هذه الكلمة فنقول [فلان عمره ستون سنة تحريراً] و[زرت فلاناً في الساعة الثامنة والنصف تحريراً] و«فلان بلغت قصبات أرضه التي اشتراها الف قصبة تحريراً» الى غير ذلك .

ذكرنا كلمة [قصبات] ونحن على يقين ان معظم أهل الأقطار العربية لا يعرفون ما المراد منها لكننا نحن استعملناها في المعنى الذي يستعملها فيه الدماشقة اليوم والمصريون قديماً : فقد ذكر صاحب [نهاية الأرب] الفدّان وحدد مقداره فقال : « هو اربعمائة قصبة بالقصبة الحاكمية والقصبة الحاكمية ستة أذرع وثلثا ذراع بذراع القماش » . ولا يخفى ان ذراع القماش هو الذراع المستعمل اليوم في بلاد الشام ويسمى ايضاً الذراع الاسلامبولي . وفي دمشق مقدار من المساحة الارضية يعبرون عنه بالقصبة وهو ثمانية واربعون ونصف [مربع] بالذراع المذكور اي الذراع الاسلامبولي أو ذراع القماش فتكون النتيجة ان قصبة المساحة التي كان يسميها المصريون في العهد الايوبي بل والعهد الفاطمي [القصبة الحاكمية] نسبة الى [الحاكم بامر الله الفاطمي] — هذه القصبة هي المستعملة اليوم تقريباً في دمشق فيقولون [قصبة] ولكن لا ينعتونها بالحاكمية كما كان ينعتها المصريون الايوبيون . وقال القلقشندي في [صبح الأعشى] القصبة الحاكمية طولها ستة أذرع بالهاشمي وخمسة أذرع بالنجاري وثمانية أذرع بذراع اليد اه .

ورأيت في [نهاية الارب] كلمةً عربت منذ ثمانية قرون ودخلت في لغة أجدادنا السوريين من لغة الافرنج الصليبيين وقد نبه اليها المؤلف نفسه فقال « وفي بعض الأعمال الشامية نواحٍ مفصولة ومضمنة على أربابها بشيء معلوم يؤخذ منهم عند إدراك المغل » ثم قال مفسراً كلمة [مفصولة] مانصه : [وكلمة «الفصل» بالشام كله كلمة افرنجية واستمر استعمالها في البلاد الساحلية التي ارتجعت من أيدي الافرنج جرياً على عادتهم اه] . وكأنه أراد بقوله [جرياً على عادتهم] ان اهل الشام في زمن الحروب الصليبية كانوا يعرّبون كلمات الافرنج ويستمرون على استعمالها . وهل المصريون ياترى ما كانوا يفعلون ذلك ؟ وكلمة [فصل ومفصولة] استعملهما المؤلف النويري — كما رأى القارئ — في صدد استئجار الارض الزراعية المُغلّة . فناحية من نواحي الشام تكون مفصولة أي ذات فصل بان تكون إقطاعاً بتصرف أمير من الامراء الإقطاعيين فيعتمد هذا الامير على بعض اتباعه فيؤجره الناحية لقاء مبلغ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من المال — هذه الارض الإقطاعية المؤجرة على هذه الصورة كان يقول عنها أسلافنا أهل الشام انها أرض [مفصولة] وايجارها [فسل] . وقال المؤلف النويري ان الشاميين أخذوا هذه الكلمة من لغة الافرنج فكيف أخذوها؟ قال الاستاذ احمد الزين مصحح كتاب [نهاية الارب] معلقاً على عبارة المؤلف ما نصه : « لعل أصل هذه الكلمة في اللغة الافرنسية Vassal [فسّال] ومعناه التابع الذي أعطاه متبوعه إقطاعاً نظير واجبات يؤديها كما في معجمات هذه اللغة فكأن اهل الشام اشتقوا من [فسال] لفظ [الفسل] وأرادوا به المعنى المصدري اي التبعية ثم حرفته ألسنتهم الى كلمة [الفسل] كما هنا حسب نطقهم العربي واشتقوا منه لفظ [مفصولة] » اه كلامه .

فأجدادنا أهل الشام لما لم يجدوا في اللغة العربية كلمة خاصة تدل على استئجار تابع الامير من متبوعه أرضه الاقطاعية وسمعوا الصليبيين يقولون معبرين عن هذا المعنى بكلمة (Vassal) استجازوا تعريبها وقالوا [الفصل] و [الارض المفصولة] حتى استعملها النويري في كتابه . فيصح لنا نحن اليوم ان نسميها [كلمة صليبية] ونبحث عن أخواتها ونضمها اليها بعنوان [الكلمات الصليبية] وقد يعثر المتتبع اليقظ على كثير من هذه الكلمات .

ونختم هذا البحث بكلمتين إداريتين كان المصريون في عهد الدولة الايوبية يستعملونهما: احداهما كلمة [الترصيع] يريدون بها ما نريده بكلمة [التنظيم] مذ نقول : نظم العامل العمل او نظم جدولاً بالعمل اماهم فكانوا يقولون رصّع العمل وترصيع العمل ولا بأس باستعمال هذه الكلمة في مثل هذا المقام او مقام آخر يشبهه . اما الكلمة الاخرى فهي [مَعْذوق] مذ يقولون مثلاً « وامر البيوت السلطانية معذوق بناظر خاص » ويريدون [بمعذوق] ما نريده اليوم بكلمة [منوط] مذ نقول هذا الأمر منوط بفلان اي معلق به ومرتبط به واليه مرجعه . ولكلمة [معذوق] معنى في اللغة لا تمكن إرادته هنا الا على استكراه . فليس لنا في استعمال [معذوق] حاجة مادامت لدينا كلمة [منوط] بشرط ان لا نشدد واوها ونقول [منوَّط] كما يفعل بعضهم .

«المغربي»

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مذهب الجاحظ في الادب (١)

—((0))—

أحطنا حتى اليوم بثلاث نواحٍ من نواحي الجاحظ فقد تكشف لنا علمه ودينه ونقده ، فكان في علمه يبني على أصول معينة وصولاً الى الحقائق وكان في دينه يعمل عقله في التفسير والتأويل دون ان يكون لأحد سلطان عليه ، وكان في نقده على نحو ما رأيناه في علمه يتوخى الحقائق معتماً بالفن الاهتمام كله ، فاذا عرفنا هذا فهل علينا من حرج ان نعرف طائفةً من مذاهبه في الأدب كما عرفنا طائفةً من مذاهبه في العلم والدين والنقد ، وآراء الجاحظ في الأدب مشتتة في أثناء كتبه فلا نجد له مباحث مطردة في هذا الباب يأخذ بعضها برقاب بعض فكأنه يلهو بمجامع المعاني لهواً وهذا اللهو من خصائص عبقريته .—

وعلى هذا النحو اننا لا نطمع في استقصاء آرائه الادبية وإنما نتوخى معرفة اليسير منها لعلنا نتصور الجاحظ في صورة الأديب كما تصورناه في صورة العالم أو في صورة الفيلسوف أو في صورة الناقد .—

قبل أن أتفرغ لبيان أفكاره الأدبية لا أرى لي مندوحة عن الاشارة الى مذهبه في الأدب ، فالجاحظ من أصحاب الأدب المجرد ، انكم تعلمون ان الجاحظ عاش في عصر استفاضت فيه الحرية في كثير من الامور ، من جملة هذه الامور تسمية الأشياء باسمائها دون اللجوء الى الكنايات ، فاذا تصفحنا بعض الشعر في ذلك العصر ظهرت لنا ألفاظ عارية تصور الطبيعة في حقائق صورها دون شيء من التعفف ، والجاحظ متصل بعصره الاتصال كله على نحو ما تبين لكم ذلك فلم ينسلخ من أثر من آثار هذا العصر فاذا وجد ان الأدب

(١) سلسلة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبري احد اعضاء المجمع العلمي العربي التي شرع في المحاضرة بها في كلية الاداب في دمشق سنة ١٩٣١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المجرد مذهب من المذاهب المستفيضة أخذ به ولم يتورع فهو صورة عصره في كثير من الامور فمن قوله في هذا المعنى[1] :

« وبعض الناس اذا انتهى الى ذكر ... ارتدع وأظهر التعزز واستعمل باب التورع واكثر من تجده كذلك فانما هو رجل ليس معه من العفاف والكرم والنبل والوقار الا بقدر هذا الشكل من التصنع ولم يكشف قط صاحب رياء ونفاق الا عن لؤم مستعمل[2] ونذالة متمكنة الى آخر ماذكره ثم أيد مذهبه هذا بطائفة من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وكلام بعض الخلفاء الراشدين والسلف الطيب ..—

ففي كلام الجاحظ ما يدل على ان هذا الشكل من الادب لم يشع الشيوع كله فقد كانت طائفة من الناس يرتدعون ويظهرون التعزز ويستعملون باب التورع الا ان الجاحظ كان يرى ان هذه الأخلاق انما هي من ضرب التصنع وكيف كان الامر فالذي يهمنا انما هو المذهب نفسه ولهذا المذهب رجال ظهروا في فرنسة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر منهم (Henri Beyle) في مقدمتهم (بالزاك Balzac) و (فلوبر Flaubert) ثم (زولا) وغيرهم فيكاد يكون (بالزاك) أستاذ الأدب المجرد أو الأدب الواقع على حسب المصطلح فقد أحيا في رواياته جماعات تصورها على نحو جماعات اللحم والدم ..—

لمح (بالزاك) في مقدمة رواية من رواياته الى غرضه فالغاية التي يرمي اليها انما هي كتابة تاريخ الرجل الطبيعي، فأنتم تدركون من هذه الكلمة النتائج التي تؤدي اليها كتابة التاريخ الطبيعي للبشر، شأن صاحب هذا المذهب انما هو وصف القبح والجمال ووصف الخير والشر على وجه واحد فلا قبح ولا جمال ولا خير ولا شر في نظر أهل هذا الأدب وانما هي مظاهر مختلفة يظهرها الرجل فهم يشبهون الانسان بحيوان أو بنبات ..—

ليست غايتنا التبسط في الكلام على أهل الأدب المجرد وانما أردنا ان نقابل بينهم وبين الجاحظ فالجاحظ يختلف عنهم من حيث انه لم يتوسع في هذا المذهب فهو لم يضع روايات يرمي فيها الى تصوير القبح والجمال أو الخير والشر وانما لجأ الى مفردات قد لجأوا الى أشباهها نظراً الى التحامها بموضوعاتهم فهو يشبههم في قليل من المواطن فقد نجد من كلامه ما هو مجرد من الأدب نسبة الى عصرنا وقد يكون هذا الكلام مألوفاً في عصره الا أنه كيف يكون

(١) الحيوان — الجزء الثالث ص١٢ . (٢) لعله : عن لؤم مستفحل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الامر فلا نستطيع في هذه الايام ان نستعمل أضراب هذا الكلام لأن عصرنا لم يتهيأ لهذا النوع من الأدب ، اما كلام الجاحظ الذي اشرت اليه فانه يتجلى لنا في بحثنا عن لغته ٠ —

وقد جرّته هذه الحرية في الأدب الى حرية مثلها في اللغة فاسمعوا ماقاله في بعض كلامه على الكلاب[1] :

« فأما الذي شهدت أنا من ابي اسحاق بن سيار النظّام فانا خرجنا ليلةً في بعض طرقات الأُبُلَّة وتقدمته شيئًا وأَلِحَّ عليه كلب من شكل كلاب الرِعاء وكره ان يعدوَ فيغرَيه ويضربه وأَنف ايضًا من ذلك وكان انفًا شديد الشكيمة اباء للهضيمة وكره ان يجلس مخافة ان يشر عليه ببوله أو لعله أن يعضه فيهرُتَ ثوبه وألح عليه فلم ينله بسوء فلما جزنا حدّه وتخلصنا منه قال ابراهيم في كلام له كثير يعدد خصاله المذمومة فكان آخر كلامه أن قال : ان كنت سبع فاذهب مع السباع وعليك بالبراري والغياض وان كنت بهيمة فاسكت عنا سكوت البهائم ، فلما بلغ الى قوله البهائم قال :

ولا تنكر قولي وحكايتي عنه بقول ملحون من قولي : ان كنت سبع ولم أقل ان كنت سبعًا وانا أقول : ان الإعراب يفسد نوادر المولدين كما ان اللحن يفسد كلام الأعراب لأن سامع ذلك الكلام انما أعجبته تلك الصورة وذلك المخرج وتلك اللغة وتلك العادة فاذا دخلت على هذا الامر الذي انما أضحك بسخفه وبعض كلام العجمية التي فيها حروف الإعراب والتخفيف والتثقيل وحولته الى صورة ألفاظ الأعراب الفصحاء وأهل المروءة والنجابة انقلب المعنى مع انقلاب نظمه وتبدلت صورته ٠ — »

فلم يأنف الجاحظ بعد أن بسط مذهبه هذا من لحن أو من كلام غير معرب أو من لفظ معدول عن جهته حتى قال في كتاب البخلاء[2] :

« وان وجدتم في هذا الكتاب لحنًا أو كلامًا غير معرب ولفظًا معدولاً عن جهته فاعلموا انا انما تركنا ذلك لأن الإعراب يبغض هذا الباب ويخرجه من حده الا أن أحكي كلامًا من كلام متعاقلي البخلاء واشحاء العلماء كسهل بن هارون وأشباهه ٠ — »

ولم يقتصر على استعمال اللحن والكلام غير المعرب واللفظ المعدول عن جهته وانما أوصى

(١) الحيوان — الجزء الاول ص ١٣٦ ٠

(٢) البخلاء — ص ٣٣ ٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بهذا المذهب فقال [١] :

« ومتى سمعتَ حفظك الله بنادرة من كلام الأعراب فاياك وان تحكيها الامع إعرابها ومخارج ألفاظها فانك ان غيرتها بأن تلحن في إعرابها واخرجتها مُخرَج كلام المولدين والبلديين خرجتَ من تلك الحكاية وعليك فضل كبير . وكذلك اذا سمعتَ بنادرة من نوادر العوام ومُلْحة من مُلَح الحِشوة والطغام فاياك وان تستعمل فيها الإعراب أو أن تتخير لها لفظاً حسناً أو تجعل لها من فيك مخرجاً سرِيّاً فان ذلك يفسد الامتاع بها ويخرجها من صورتها ومن الذي أُريدت له ويذهب استطابتهم إياها واستملاحهم لها . — »

فاذا عرفنا ميله الى الحرية في التصوير والى الحرية في اللغة لزمنا ان نعرف مذاهبه في هذا التصوير وفي هذه اللغة ، ماهي الأُصول التي يبني عليها الفن . —

لم يعتن الجاحظ بشيء في أبواب الفن اعتناءه بالمناسبة بين الألفاظ والمعاني فان قاعدة : لكل مقام مقال تكاد تكون أغلب قواعده ، فما أكثر ذكره لها في كلامه ، وما أكثر تنبيهه على استعمالها ولا عجب في ذلك ، فاذا رأيتم غداً كيف يناسب بين ألفاظه ومعانيه وكيف تكون ألفاظه على أقدار هذه المعاني عرفتم السبب الذي من أجله يحرص هذا الحرص على أن يكون المقال مطابقاً للمقام ، فقد نبه على هذه القاعدة في مواطن كثيرة من كلامه لا أرى بي حاجةً الى ذكرها كلها وانما اجتزيء بذكر بعضها فمن قوله في هذا المعنى [٢] :

« ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ولكل نوع من المعاني نوع من الاسماء فالسخيف للسخيف والخفيف للخفيف والجزل للجزل والافصاح في موضع الافصاح والكناية في موضع الكناية والاسترسال في موضع الاسترسال وان كان موضع الحديث على انه مضحك وملهي وداخل في باب المزاح والطيب فاستعملت فيه الاعراب انقلب عن جهته وان كان في لفظه سخف وابدلت السخافة بالجزالة صار الحديث الذي وضع على أن يسر النفوس يكربها ويأخذ بأكظامها . — »

أو قوله [٣] :

---

(١) البيان والتبيين — الجزء الاول ص ٨١ .
(٢) الحيوان — الجزء الثالث ص ١٢ .
(٣) » » » ص ١١٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« وقبيح بالمتكلم ان يفتقر الى ألفاظ المتكلمين في خطبة أو رسالة أو في مخاطبة العوام والجار أو في مخاطبة أهله وعبده وأَمته أو في حديثه اذا حدّث او خبره اذا أخبر ، وكذلك من الخطإ ان يجلب الفاظ الأعراب والفاظ العوام وهو في صناعة الكلام داخل ولكل مقام مقال ولكل صناعة شكل . — »

أو قوله [1] :

« ووجدنا الناس اذا خطبوا في صلح بين العشائر أطالوا واذا أنشدوا الشعر بين السماطين في مديح الملوك أطالوا وللإطالة موضع وليس ذلك بخطل وللإقلال موضع وليس ذلك من عجز ... ورأينا الله تبارك وتعالى اذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف واذا خاطب بني اسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطاً وزاد في الكلام . — »

ومثل الاشارة الى قاعدة : لكل مقام مقال كثير في كلام الجاحظ ولكن كيف يريد الجاحظ ان يكون هذا المقال ، ماهي قواعد الانشاء في نظره ، أيريد ان يرسل الكاتب كلامه على سجيته دون شيء من التنقيح أم يريد ان ينقح هذا الكلام . —

اهتم الجاحظ بالتنقيح كل الاهتمام فهو يعلم مقدار فتنة الكاتب بكلامه فلم يجد بداً من تنبيهه على التهذيب فقال [2] :

« وينبغي لمن كتب كتاباً ان لا يكتبه الا على الناس كلهم له أعداء وكلهم عالم بالامور متفرغ له ثم لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه غُفلاً ولا يرضى بالرأي الفطير فان لابتداء الكتاب فتنة وعجباً فاذا سكنت الطبيعة وهدأت الحركة وتراجعت الاخلاط وعادت النفس وافرةً أعاد النظر فيه فتوقف عند فصوله توقف من يكون وَزْنُ طبعه في السلامة أنقص من وزن خوفه من العيب ويتفهم معنى قول الشاعر :

ان الحديث تغر الناس خلوته حتى يلج بهم عيٌّ واكثار

ويقف عند قولهم في المثل كل مجرٍ في الخلاء يَسَر فيخاف ان يعتريه ما اعترى من أجرى فرسه وحده أو خلا بعلمه عند فقد خصومه واهل المنزلة من اهل صناعته ليعلم ان صاحب القلم يعتريه ما يعتري المؤدب عند ضربه وعقابه فما أكثر من يعزم على خمسة أسواط

(١) الحيوان — الجزء الاول ص٤٦ . (٢) الحيوان — الجزء الاول ص٤٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فيضرب مائة لانه ابتدأ الضرب وهو ساكن الطباع فأراه السكون ان الصواب في الاقلال فلما ضرب تحرك دمه فأشاع فيه الحرارة فزاد في غضبه فأراه الغضب ان الرأي في الإكثار وكذلك صاحب القلم فما أكثر من يبتدئ الكتاب وهو يريد مقدار سطرين فيكتب عشرة والحفظ مع الإقلال أمكن وهو مع الإكثار أبعد . (واعلم) ان العاقل ان لم يكن بالمتتبع فكثيراً مايعتريه مايعتريه من ولده ان يحسن في عينه منه المقبح في عين غيره فليعلم ان لفظه أقرب نسباً منه من ابنه وحركته امس به رحماً من ولده لان حركته شيء احدثه من نفسه وبداءته من عين جوهره فصلت ومن نفسه كانت وانما الولد كالمخطة يتمخطها والنخامة يقذفها ولا سواء اخراجك من جزئك شيئاً لم يكن منك واظهارك حركة لم تكن حتى كانت منك ولذلك تجد فتنة الرجل بشعره وفتنته بكلامه وكتبه فوق فتنته بجميع نعمته وليس الكتاب الى شيء أحوج منه الى إفهام معانيه حتى لايحتاج السامع لما فيه من الروية ويحتاج من اللفظ الى مقدار يرتفع به عن الفاظ السفلة والحشوة ويحطه من غريب الاعراب ووحشي الكلام . — »

وقال في مقام آخر[1] :

وليس في الارض خصمان يتنازعان الى حاكم الا كل واحد منهما يدعي عدم الانصاف والظلم على صاحبه وليس في الارض انسان الا وهو يطرب من صوت نفسه ويعتريه الغلط في شعره وفي ولده الا ان الناس في ذلك على طبقات من الغلط فمنهم الغرق المغمور ومنهم من قد نال من الصواب ونال من الخطإ ومنهم من يكون خطؤه مستوراً لكثرة صوابه فما أحسن حاله مالم يمتحن بالكشف ولذلك احتاج العاقل في استحسان كتبه وشعره من التحفظ والتوقي ومن إعادة النظر والتهمة الى أضعاف مايحتاج اليه في سائر ذلك . — »

ولكنه على شدة اهتمامه بالتنقيح والتهذيب لايريد المبالغة في هذا الامر لانه يعلم ان المبالغة قد تفضي بالكاتب في خاتمة الامر الى شيء من التنطع والتنطس فلذلك قال[2] :

« وليس له ان يهذبه جداً وينقحه ويصفيه ويروقه حتى لا ينطق الا بلب اللب وباللفظ الذي قد حذف فضوله وتعرفه وأسقط زوائده حتى عاد خالصاً لا شوب فيه فانه ان فعل

(١) الحيوان — الجزء الثاني ص ٣٧ .
(٢) » » الاول ص ٤٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ذلك لم يفهم عنه الا بان يجدد لهم أفهاماً مراراً وتكراراً لان الناس كلهم قد تعودوا المبسوط من الكلام وصارت أفهامهم لا تزيد على عاداتهم الا بان يعكس عليها ويؤخذ بها الا ترى ان كتاب المنطق الذي قد وسم بهذا الاسم لو قرأته على جميع خطباء الامصار وبلغاء الاعراب لما فهموا أكثره وفي كلام إقليدس كلام يدور وهو عربي وقد صفي لو سمعه بعض الخطباء لما فهمه ولا يمكن ان يفهمه من يريد تعليمه لانه يحتاج الى ان يكون قد عرف جهة الامر وتعود اللفظ المنطقي الذي استخرج من جميع الكلام (قال معاوية بن أبي سفيان) رضي الله تعالى عنهما لصحار العبدي : ما الايجاز ؟ قال : ان تجيب فلا تبطئ ، وتقول فلا تخطئ ، قال معاوية : أو كذلك تقول ، قال صحار : أقلني يا امير المؤمنين ، لا تخطئ ولا تبطئ ، فلو ان سائلاً سألك عن الايجاز فقلت لا تخطئ ولا تبطئ وبحضرتك خالد بن صفوان لما عرف بالبديهة وعند اول وهلة ان قولك لا تخطئ متضمن بالقول وقولك لا تبطئ متضمن بالجواب وهذا حديث كما ترى آثروه ورضوه ولو ان قائلاً قال لبعضنا : ما الايجاز ، لظننت انه يقول الاختصار ، والايجاز ليس يعني به قلة عدد الحروف واللفظ وقد يكون الباب من الكلام من أتى عليه فيما يسع بطن طومار فقد أوجز وكذلك الإطالة . وانما ينبغي له ان يحذف بقدر ما لا يكون سبباً لإغلاقه ولا لترداده وهو يكتفي من الإفهام بشطره فما فضل عن المقدار فهو الخطل . — »

واذا كان الجاحظ يرمي الى التهذيب والتنقيح فمن الطبيعي ان يجعل للألفاظ صفات وخصائص وأن يحمل الكاتب على توخي هذه الصفات وهذه الخصائص ، ما هي طبائع الالفاظ التي يميل اليها الجاحظ ، قال في هذا المعنى[1] :

« وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ومعناه في ظاهر لفظه وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله فاذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً وكان صحيح الطبع بعيداً عن الاستكراه ومنزهاً عن الاختلال مصوناً عن التكلف صنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة ومتى حصلت الكلمة على هذه الشريطة ونفذت من قائلها على هذه الصفة أصحبها الله من التوفيق ومنحها من التأييد ما لا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة ولا يذهل عن فهمها عقول الجهلة ، وقد قال عامر بن

(١) البيان والتبيين — الجزء الاول ص ٤٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عبد القيس : الكلمة اذا خرجت من القلب وقعت في القلب واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان . — »

ومن قوله ايضاً [1] :

« ومتى شاكل أبقاك الله ذلك اللفظ معناه وأعرب عن فحواه وكان لتلك الحال وفقا ولذلك القدر لفقا وخرج من سماجة الاستكره وسلم من فساد التكلف ، كان قميناً بحسن الموقع وبانتفاع المستمع وأجدر ان يمنع جانبه من تناول الطاعنين ويحمي عرضه من اعتراض العيابين ولا تزال القلوب به معمورة والصدور مأهولة ومتى كان اللفظ ايضاً كريماً في نفسه متخيراً في جنسه وكان سليماً من الفضول بريئاً من التعقيد حبب الى النفوس واتصل بالأذهان والتحم بالعقول وهشت اليه الأسماع وارتاحت له القلوب وخف على ألسن الرواة وشاع في الآفاق ذكره وعظم في الناس خطره وصار ذلك مادة للعالم الرئيس ورياضة للمتعلم الريّض . فان أراد صاحب الكلام صلاح شأن العامة ومصلحة حال الخاصة وكان ممن يعم ولا يخص وينصح ولا يغش وكان مشغوفاً بأهل الجماعة شفيقاً لاهل الاختلاف والفرقة جمعت له الحظوظ من أقطارها وسيقت اليه القلوب بأزمتها وجُمعت النفوس المختلفة الاهواء على محبته وجبلت على تصويب إرادته ومن أعاره الله من معرفته نصيباً وأفرغ عليه من محبته ذنوباً حنت اليه المعاني وسلس له نظام اللفظ وكان قد أغنى المستمع من كد التكلف وأراح قارئ الكتاب من علاج التفهم ولم أجد في خطب السلف الطيب والأعراب الأقحاح الفاظاً مسخوطة ولا معاني مدخولة ولا طبعاً رديّاً ولا قولاً مستكرهاً واكثر مانجد ذلك في خطب المولدين البلديين المتكلفين ومن أهل الصنعة المتأدبين وسواء كان ذلك منهم على جهة الارتجال والاقتضاب أو كان من نتائج التخير والتفكر . ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كريتاً وزمناً طويلا يردد فيها نظره ويقلب فيها رأيه اتهاماً لعقله وتتبعاً على نفسه فيجعل عقله ذماماً على رأيه ورأيه عياراً على شعره إشفاقاً على أدبه وإحرازاً لما خوله الله من نعمته . — »

فأكبر همه انتخاب اللفظ النبيه الشريف واجتناب اللفظ الهجين الرديء .

وقبل ان يشرع الكاتب في الكتابة يلزمه ان يتصور المعنى ثم يتصور اللفظ على قدر

(١) البيان والتبيين — الجزء الثاني ص ٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا المعنى[١] .

« وشر البلغاء من هيأ رسم المعنى قبل أن يهيء المعنى عشقاً لذلك اللفظ وشغفاً بذلك الاسم حتى صار يجر اليه المعنى جراً ويلزقه به الزاقاً حتى كأن الله تعالى لم يخلق لذلك المعنى اسماً غيره ومنعه الافصاح عنه الا به . — »

هذه بوجه التقريب القواعد التي رسمها الجاحظ في صناعة الكلام وإذا أجملناها وجدنا أنها تتعلق بالمناسبة بين الألفاظ والمعاني وبتنقيح الالفاظ دون شيء من الغلو في هذا التنقيح وبما يؤدي اليه التنقيح من انتخاب الالفاظ وتخيرها فهي من هذا الوجه تشبه في بعض الأحوال القواعد التي يضعها أدباء الافرنجة فاذا قابلنا مثلاً بين ماقاله الجاحظ وبين ماقاله الشاعر الفرنسي «بوالو» في فنه الشعري وجدنا القولين متشابهين في كثير من الوجوه . فاذا تم للأديب هذا كله واجتمعت له أسبابه فليعمل بعد هذا بما قاله الجاحظ له[٢] :

« وليس ينبغي لكتب الآداب والرياضات ان يحمل أصحابها على الجد الصرف وعلى العقل المحض وعلى الحق المر وعلى المعاني الصعبة التي تستكد النفوس وتستفرغ المجهود وللصبر غاية وللاحتمال نهاية . — »

فما ينبغي للأدب في نظر الجاحظ ان يكون متعبة للعقل وانما الأدب في رأيه ضرب من الرياضة وعلى هذه الصورة يشبه مذهب الجاحظ في قدر الأدب مذهب أكابر الادباء في فرنسة وفي جملتهم الاستاذ «لانسون» Lanson الذي يريد ان يكون الادب : رياضة وذوقاً ولذة[٣] . —

في ٥ آذار سنة ١٩٣٢

شفيق جبري

---

(١) رسائل الجاحظ على هامش الكامل — الجزء الاول ص ٢٨ .

(٢) » » » » ص ١٥٥ .

(٣) راجع كتابي : المتنبي — ص ٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قصيدة الفراسة

هذه أرجوزة تعد ٢٣٣ بيتاً تضمنت ذكر فضائل الاجناس وماخص كل جنس من جميل الطبع وقبيح الخلق وأثر كل بلدة بأهله — على سبيل الاختصار وهي من النوادر العزيزة الوجود اذ لم أرها في غير مسودة كتاب كنوز الذهب في تاريخ حلب لاحمد بن ابراهيم موفق الدين أبي ذر ابن العجمي المتوفى سنة ٨٨٤ وقد كتب هذه القصيدة بخط يده وعنه نسختها وكان المرحوم العلامة الشيخ طاهر الجزائري رآها عندي في احدى زياراته منزلي وطلب مني أن أسمح له بنقلها فاعتذرت له ولم أجب طلبه حرصاً عليها وأخبرني انه لم يرها مدة حياته سوى مرتين هذه المرة احداهما مع كثرة اطلاعه وولعه بالبحث والتنقيب عن الكتب المخطوطة النادرة .

والذي يغلب على الظن استدلالاً من أسلوبها واستنباطاً من تسميتها البلدان والاقاليم وأجناس الناس بأسمائها المذكورة فيها — أنها مما نظم في القرن الرابع اوالخامس .

وليس الغرض من نشرها بيان نعوت البلدان والسكان التي ذكرت فيها ولاذكر محاسنهم ومساويهم إنما الغرض من نشرها بيان عقلية ذوي الثقافة في أهل الزمن الذي نظمت فيه فيما حكته عنهم وهي من جهة أخرى قد تعد أثراً تاريخياً قديماً يستحق ان يحرص على حفظه وصونه من الفقدان والضياع .

والذي أعتقده من ذوي الثقافة في هذه الايام انهم لايحفظهم مايرونه في هذه القصيدة من ذكر مساوئ بلادهم اوأجناسهم فان سعة مدار كهم ترشدهم الى ان طباع الناس والأقاليم قد استحال الكثير منها الى الضد والنقيض اذ من نظر في مرآة الوجود وبحث في أحوال تلك البلاد وأخلاق أهلها وطبق محاسنها ومساويها على ماورد في هذه الأرجوزة —

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تراءى له أن أكثر ماتضمنته قد أحاله الزمان الى عكسه فانقلب البلد العامر خرباً والخارب عامراً وهذا مصداق ماقاله الحكيم : « ليس ترداد حركات الفلك الا احالة الكائنات عن حقائقها » قيل ومنه أخذ المتنبي قوله :

ومن صحب الدنيا طويلاً تقلبت علي عينه حتى يرى صدقها كذبا

ان الكائنات تتأثر بالزمان اكثر من تأثرها بالمكان قال فيلسوف العرب النابغة المعري :

اما المكان فثابت لا ينطوي لكن زمانك ذاهب لا يثبت

وله : يقال ان زماناً يستقيد لهم حتى يبدل من بؤس بنعماء

وله : ان المواهب كلها عارية ومن السفاهة غبطة بعطائها

وله : زمان يخاطب ابناءه جهاراً وقد جهلوا ماعنا

يبدل باليسر اعدامهم وتهدم احداثه ما بنا

ولابي تمام في المعنى :

ارض مصرّدة وأخرى تسجم تلك التي رزقت وأخرى تحرم

واذا تأملت البلاد رأيتها تثري كما تثري الرجال وتعدم

حظ تعاوره البقاع لوقته وادٍ به صفر وواد مفعم

حلب : كامل الغزي

وهذه هي القصيدة :

القصيدة الموعود بذكرها

الحمد لله على الهداية والعلم والتوفيق والدراية

هذي قصيد الحدس والفراسة نافعة لصاحب السياسة

يعرف منها كل مستسر في الناس من ذي صالح وشر

وأي جنس فيهم النجابة والرأي والتحريف والاصابة

وأيهم يرغب في السداد ويقتني للمهن الشداد

وأيهم في طبعه شراسه وأيهم ليس له رياسه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن يكون صالحاً للخدمة ومن له عزيمة وهمة
وعلم ما أثّرت البلاد في طبعهم وماله استفادوا
فافهم مقالي فهو عين الرشد ان كنت تبغي بغيتي وقصدي

« ذكر العرب »

خير البرايا والأنام العرب كذاك قال العالم المجرب
طابوا فروعاً وزكوا اصولاً لانهم لم يلدوا مجهولا
ونزلوا نجداً وارض نجد سليمة من كل طبع مرد
فسلموا من شره العراق وغلظة الشآم والرستاق
ففيهم العزة والحمية والشيمة الطاهرة الزكية
كراهة الغدر وبذل الجود والطعن بالمثقف الأملود
وفيهم الخداع والعداوة والشر والارهاب والقساوة
وفيهم نجابة الاولاد وعندهم فضائل الأمجاد
رعاية الجار وحق الضيف موجودة فيهم وضرب السيف
وفيهم تراحم وعطف وفيهم عتب وفيهم عنف
أمينهم ليس له مماثل كما الخؤون ماله معادل

« ذكر العجم »

والفارسيون لهم مكارم يعرفها من لهم يلائم
لهم خلال ولهم رياسة وفيهم السداد والكياسة
وعندهم بخل وفيهم كبر وعزة ومنعة وفخر
والرحمات عندهم كثيرة والنغمات فيهم شهيرة
وفيهم نجابة معروفة وهمة وعزمة موصوفة
وعندهم رأي وفيهم علم وصنعة وحكمة وفهم

« ذكر الترك »

والترك فيهم قسوة وعظمة وجرأة ما ان لديها مرحمة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لا يعرفون العفو والوفاء ولا يرون الجود والسخاء
وفيهم النسيان والكفران وفيهم الابطال والشجعان
وفيهم الليوث يوم الحرب وفيهم كل مليح عذب
لهم قدود ولهم خصور والوجنات الحمر والشعور
وفيهم نجابة الأولاد لكن عروا من حكمة السداد

« ذكر الديلم »

والعقل في الديلم والسداد في حسنهم ليس له نفاد
وفيهم شهامة وفضل وعفة ورتبة ونبل
في نسلهم نجابة وقسوة وغلظة في طبعهم وجسوة
وفيهم جبرية وظلم وفيهم قساوة وغشم
وعندهم شطر من الآداب ومن رجوع العقل للصواب

« ذكر الأكراد »

والشر كل الشر في الاكراد لبعدهم عن منهج السداد
وفيهم للحرب والقتال جلادة والطعن بالعوالي
لكن جميل الخلق والصباحة ليست لهم كلا ولا السماحة
ونسلهم يصلح للجلاد وللامور الصعبة الشداد

« ذكر الروم »

والروم فيهم أدب وظرف وغلمة ونغمة ولطف
وفيهم العقول والألباب وفيهم الآراء والصواب
وفيهم فوارس الشجاعة والعلم والحكمة والصناعة
وفيهم اللذة والتمتع لكنهم مافيهم تصنع
وفيهم البخل وذل النفس وفيهم الفهم وصدق الحدس
لكل شيء يصلح الغلام منهم وهذا الشرف التام

« ذكر الارمن »

وليس في الأرمن خير فاعلم ان كنت يا صاح اخا تفهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

للشغل الشاق من الاعمال براهم ذو العز والجلال
وفيهم ضرب من الجمال لكنه يندر في الرجال
وفيهم قذارة وخسة وذل نفس ليس فيه لبسة

« ذكر الفرنج »

كذلك الفرنج شر الأمم في غلظ الطبع وخبث الشيم
أبخل من براه رب الناس من سائر الضروب والاجناس
لكنهم ابطال يوم الحرب واعمل الخلق بحد القضب
وعندهم سياسة قليلة وحكمة لكنها ضئيلة
وفيهم رشاقة القدود وحمرة الوجنات والخدود

« ذكر اللان »

واللان جنس خلقوا للخدمة وللمعاناة وحفظ الحرمة
فان تردهم للنكاح والولد فانت في ذاك على غير الرشد

« ذكر الهند »

والهند فيهم عفة وفسق وقسوة وباطل وحق
لهم شعور ولهم قدود وهم اهيل وهم عبيد
ان استرقوا يصلحوا للرق وللطرفات[1] وللاشق
وللنتاج ثم للاولاد وللخصومات وللجلاد

« ذكر السند »

ألأمُ جنس الناس جنس السند فلا ترد منهم سلوك القصد
لهم خصور ولهم شعور لكنما أذاهم كثير
براهم الله الشديد الحول فاتبع سبيلي واستمع لقولي

« ذكر البربر »

أنجب أجناس الرقيق البربر لاسيما الجنس اللطيف الاصفر
للوطيء والأولاد والبيوت يخترن لا للكد والتعنيت

(١) نسخة : وللضرورات .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نعم وفيهم للغناء طبع وللعلوم الرائقات جمع
والكيس والظرف لهم شعار فاخترهمُ فجنسهم مختار
وفيهم سوء وخبث دخله وعندهم بخل وفيهم خله

« ذكر الزَرَنج »

ان الزرنج في العبيد وسط وأمرهم أمر به تخلط
يصلحن للنكاح لا للولد ثمت للخدمة والتودد
ما فيهم عقل ولا رياسة كلا ولا عندهم سياسة

« ذكر أجناس السودان »

وفي الزنوج غلظ الطباع وفيهم ميل الى البضاع
ما فيهم لناكحيهم منية ولا لقانيهم غداً من بغية
الا لاهل الريف والرستاق وكل ذي أمر شديد شاق
براهم لذاك رب الناس فلا تكن عليهم بالآسي

« ذكر صقع سرنديب »

من في سرنديب يكون مولده يطيب منه عيشه ويحمده
ولا يزال ضاحكاً مستبشرا كأنما يشرب صرفاً مسكرا

« ذكر خراسان »

من في خراسان يكون شهما قاسي الفؤاد لا يراعي رحما
له رواء حسن ومبسم لكنه عن خيره مجمجم

« ذكر نيسابور »

كذاك نيسابور فيها عجب وليدها فيه البذا والعجب[1]
لا يعرف الفضل لرب الفضل لما عليه قد يرى من جهل
وفيهم شراسة وخفة وغلظة ومسكة وكلفة

« ذكر اصفهان »

وجيء فيها شرة وخيرة لكنها شهرتها الشهيرة

(١) كذا ولعله الصخب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ليس لمن في ارض اصبهان خليقة غير اذى الجيران
لهم رواء ولهم جمال وفيهم الحيلة والادلال
وفيهم تعصب في الطبع لغير دين ولغير شرع

«ذكر الري»

والري فيها الكيس والظرافة لكنها في طبعها كثافة
لهم عقول ولهم آداب لكنما آراؤهم تصاب
وفيهم شجاعة وقوة وعندهم في طبعهم عتوة
وليدها يركب كل صعب ولا يخاف نازلات الخطب

«ذكر مرو»

ومرو في تربتها السلامة وفي بنيها النقص والفدامة
ليس بها فضل ولا وسامة ولا لها في اهلها كرامة

«ذكر طوس»

تولد الجهل مع المولود وتسلب الرشد من الرشيد
وليدها يعرف في الاقطار بانه من جملة الابقار
وفيهم شراسة وحدة وعندهم لآمة وشدة
والحسن في غلمانهم معروف لكنهم ليس بهم ظريف

«ذكر هراة»

وفي هراة كل امر معجب من العلى والدين والتأدب
وكل فضل من دقيق العلم في اهلها وكل أمر فخم
وفيهم بسالة وقوة لكنهم ليس لهم مروّة
وفي أُنائيهم جمال ظاهر يعرفه المقيم والمسافر
وفيهم بغض لاهل الحق فيا لهذا من لئيم الخلق

«ذكر همذان»

وان ترد في همذان خيرا عز ولو انك كنت طيرا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مدينة في طبعها فظاظة وفي بنيها الشر والغلاظة
الجهل فيهم شائع مشهور والعقل بهم خامل محقور
وفيهم دناءة ولوم وترف شيطانه رجيم
قد سلبوا الغيرة والسدادا والفوا الخصام والعنادا
وفيهم تعاشر في الذنب فيا لهذا من قبيح الادب
وفيهم محاسن وظرف لكنها ليس عليها عطف

« ذكر الاهواز »

وعند اهل الخوز والأهواز جماع كل الشر والمخازي
وفيهم علي دني الانفس بأس ولكن ليس عن تفرس
وفيهم من الجمال والمقه خليقة لكنها مستحلقه
وفيهم لباقة وشكل لكنها عم عليها الجهل
وقد سبى النساء للرجال في الحسن والعفة والاشكال

« ذكر مازندران »

مازندران في بنيها ظرف وعندهم رياسة ولطف
لكنهم في خلقهم شراسة وحدة أزرت على الرياسة
وفيهم تكرم وجود يعتاده الاحرار والعبيد

« ذكر البصرة »

وعند اهل البصرة الرداءة واللوم قد ضما الى الدناءة
في تربة الارض وفي الهواء جبلة للفهم والذكاء
وفيهم شر وفيهم لوم شعاره عليهم معلوم
وفيهم سماحة الاخلاق قد جبلت بالرقع والشقاق
وفيهم نتائج النفاق وكلما يجمع في الفساق

« ذكر الكوفة »

والكوفة الحمراء في هوائها عجائب وتربها ومائها
الغدر في ترابها مجبول والخير عن مياهها مشغول

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وما لهم عهد ولا وفاء لكن عليهم غلب المراء
بالمبدعات عنهم سار المثل وطبق الارض سهولاً وجبل
وعندهم غوص على العلوم منثورها والحكم المنظوم
وفيهم حسن الطلا معروف يعرف ذاك الفهم الظريف

«ذكر بغداد»

وعند بغداد اعتدال تام في ارضها ليس له اكتتام
مولودها افهم كل ناطق بالعلم والآداب والخلائق
وعندهم كيس وفضل شامل لكنه يشوبه مخائل
وفيهم عجب وتيه وصلف ودين كل ما حووه من لطف
وعندهم سوء وفسق زائد وفطنة لكنها مكائد
وعندهم من المراء والرما [1] ماليس يحصيه سوى رب السما
قد جبلوا على السرور والطرب والسعي بين الناس بالامر العجب
ليس لهم عهد ولا ميثاق خص بهذا الخلق العراق

«ذكر بابل»

وبابل شر البلاد والقرى تكسب طبع اهلها شر الأرا
فيهم خلاف وبهم شقاق وعندهم في دينهم نفاق
وفيهم دين ونسك شامل وفيهم الخداع والتحابل

«ذكر الموصل»

والموصل الحدباء خير منزل قليلة الاسواء والتعلل
لهم خواص في الغناء والطرب وكلما يكون من شرط اللعب
وعندهم سماحة وجود لكنها يفسدها التنكيد
لاهلها تيه وعجب زائد اكثره لفضلهم معاند
والدين في عرصتهم غريب والظلم والبغي لهم حبيب

(١) الرما لغة في الرياء .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« ذكر الجزيرة »

واسمع هديت صفة الجزيرة وماسرى عن اهلها من سيرة
ترابها وماؤها المنساب ليس به علم ولا آداب
لكنه أشيب بالجهالة والحمق المعجون بالرذالة
ما فيهم عقل ولا صباحة وجلهم صنعته الفلاحة

« ذكر نصيبين »

صاب نصيبين عذاب الحمى وخص فيهم ضرها وعما
فما ترى في ربعها صحيحا ولا فتى مهذبا مليحا
دأبهم الخصام والمهاترة والشر والتكذيب والمكابرة

« ذكر سنجار »

وارض سنجار فشر ارض لطالب العلم وباغي العرض
أخلاقهم سيئة ردية وكلهم في قبحهم سوية
لا يعرفون الجود والتكرما ولا الملذات ولا التنعما
قد شغلوا بتعب الأشغال عن العلى وكرم الخلال

« ذكر حران »

واهل حران فشر الناس في الوصف والتقدير والقياس
البخل فيهم أظهر الاوصاف بلا مماراة ولا خلاف
وفيهم من غلظ الاخلاق ما جل عن حكاية الحذاق
تقاصروا عن شرف الفضائل وانهمكوا في أرذل الرذائل

« ذكر الرها وماردين وآمد »

وفي الرها وآمد عجائب وماردين عندهم غرائب
كل اهاليها لئام بكم عن العلى والمكرمات صم
ليس لهم في الدين والعلوم حظ ولا في الشرف القديم
فيهم جفاء وشرور ونزق وعندهم في الود والحب مذق
وكل مولود من الغلمان في ارضهم يعيش كالحيران

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن تربى فيهم صغيرا لم يك في رياسة كبيرا

«ذكر الرافقة»

لا سيما ان حل ارض الرافقه وحل في تربتها علائقه
وكان من ماء البليخ مشربه ومن ثراها اكله ومكسبه
فابك على ذكائه وفطنته وكيسه وعلمه وحكمته
كذا حكى الرواة عن هارون في وصفها ثم عن المأمون

«ذكر الشام»

والشام عين الارض والبلاد وخير دار وأجل ناد
يكسب من يحله جلادة وعزمة يعضدها نجادة
وفيهم ميل الى الولاة ومن له شأن من الكفاة
وفيهم قناعة وصبر لا سيما ان حل يوما أمر
لكنما الحدة فيهم عادة وغفلة تناجها بلادة

«ذكر منبج»

فمنبج طيبة البراري لاهلها رغيدة القرار
لكنها مفسدة للرائي مبيرة للفهم والذكاء
فيها جمال ولها بهاء وفي بنيها منطق هراء
طالعها ليس له سيادة ونجمها ما عنده افادة
وفي بنيها قوة وشدة لكنها ليس عليها عمدة

«ذكر حلب»

وحلب خزانة الذكاء وموطن العفة والحياء
طالعها للغرباء سعد وهي لمن فيها شقا وكد
لكنها تعطي دقيق العلم لأهلها من بعد لطف الفهم
لكنها نتيجة التلاحي وموطن المراء والكفاح
والعصبيات لديهم وافرة وعلقة الحذق عليهم ظاهرة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

«ذكر حماة»

وفي حماة حمق وخفة ... وفيهم للمكرمات كلفة
لكنهم فيهم ذكاء ظاهر ... يعرفه من لم يعاشر
وفيهم غلاظة الطباع ... معروفة في سائر الاصقاع

«ذكر شيزر والمعرة»

في شيزر واختها المعرة ... خلائق الجهل وطبع الشرة
فشيزر جهل بلا مضرة ... والفهم والضر لدى المعرة

«ذكر حمص»

وعند حمص كل أمر معجب ... من نجدة وفطنة وأدب
لكنها منزلة الرقاعة ... وموطن الخفة والفراغة
وفيهم الحدة والبسالة ... وفيهم القوة والجهالة

«ذكر دمشق»

وفي دمشق منظر أنيق ... يعرفه العدو والصديق
وفي بنيها منظر عجيب ... وخلق تتاجه غريب
لهم رواء حسن مبر ... لكنه عن باطن يغر
وفيهم شكاسة الاخلاق ... وغلظة تنبو عن الشقاق
ودادهم اما شهدت وافي ... فان تغب فالود منهم خاف
وفيهم نجابة وباس ... لكنها ليس لها ايناس
وفيهم غلاظة وحدة ... وفيهم على الغريب شدة

«ذكر فلسطين»

وفي فلسطين ارض الأردن ... والشام الاعلى كل طبع حسن
هواؤه ماؤه والترب ... لأهله فيه معان عجب
تكسب من حل به او نزلا ... نجابة تدرأ عنه العللا
تنتج حب الدين والعبادة ... لأهله والصبر والزهادة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لكنه يغلظ الاكبادا ويعظم الفطنة والسدادا
وفيه إمساك وبخل زائد وفطنة لكنها مكايد

« ذكر مصر »

وعند مصر كل أمر معجب تحار فيه فكرة المهذب
طالعها باللعب والمزاح وخفة الأنفس والأرواح
وقلة الغيرة والوفاء والحب للآراء والاهواء
لكنها قرارة الفراعنة وخطة الأراذل الصفاعنة
وفيهم رياسة وهمة وشبق عند النسا وغلمة
والعشق فيهم البذاء فاشي ليس لهم عن قبحه تحاشي
وفيهم علم وفهم وأدب وهمة الى العلاء والرتب

« ذكر المغرب »

وعند أهل المغرب الجفاء وقوة ليس بها مراء
وفيهم بخل شديد وقحة عندالجدال المرا مستقبحة
وفيهم شجاعة عند اللقا خليقة ليست لهم تخلقا
وعندهم علم وفهم وافر وهمة تعرفها العشائر
والعصبيات لديهم جمه لكنهم آراؤهم ملتمه

« ذكر الحجاز »

في الحجاز العلم والذكاء واللطف والنجدة والعزاء
وفيهم دماثة الأخلاق والبأس يوم الخلف والشقاق
وفيهم الغصب سلب المال والسوء والمكر على الرجال
لهم وداد لهم جمال وفيهم الاعطاء والافضال
وفيهم ميل الى اللذات والعشق الغناء والفرحات

« ذكر اليمن »

وعند اهل اليمن القباحة موجودة وقلة الرجاحة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقلة العقل لديهم فاشية لكنما طباعهم مواتية
وعندهم فصاحة وعلم وعزمة صادقة وفهم
وفيهم السخاء والتكرم وفيهم غدر وشر يعلم

* * *

فهذه نتائج البلاد وكنه ما يختص بالعباد
نقلتها عن كل طب ندس رحب العلوم صادق التفرس
ظاهرة الدليل والبرهان واضحة المنار والتبيان
تنفع من يرغب في السياسة ويتقي غوارب الرياسة
ويعتني بخبرة الانام من الأجلا ومن العوام
وقد أتت من حسن التهذيب تلقح رأي الفطن اللبيب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الإسماء العربية للثمار النباتية

—((●))—

نشر العالم المحقق الدكتور امين باشا المعلوف في هذه المجلة بحثاً مستفيضاً في اصطلاحات النبات[1] بدأه بالبزرة وأنهاه بالزهرة وترك الثمرة وأشكالها دون ان يتعرض لها. ولاشك ان الألفاظ التي استقر عليها الدكتور المشار اليه سواء أكانت من وضعه أم من وضع الذين تناولوا هذا البحث من قبله هي على ما رأيت أصلح ما يجب على المؤلفين اقتباسه لكتب علم النبات وكتب الزراعة وما اليها .

ولما كانت معرفة الاسماء العربية لمختلف الثمار تهم جميع الذين يتدارسون العلوم النباتية والزراعية جئت بهذه المقالة لحقاً لبحث أمين باشا الذي له فضل السبق في هذا المضمار .

ولا يظن احد انني وضعت لأشكال الثمار أسماء لم يسبقني اليها العلماء من قبل . فالحقيقة ان عملي في هذا البحث يقتصر على تمحيص الألفاظ التي وضعها السابقون واختيار ما أراه منها أصلح من غيره . وربما لم يزد ما هو من وضعي (والأصح ما أنبه اليه قبل غيري) على لفظة واحدة أو لفظتين .

والكتب التي راجعت فيها الاسماء الموضوعة لأشكال الثمار هي الآتية :

أولاً كتاب الدر اللامع في النبات وما فيه من الخواص والمنافع تأليف انطون فيجري بك طبع سنة ١٢٥٧ هـ في مصر .

ثانياً كتاب مبادئ علم النبات تأليف جورج بوست طبع سنة ١٨٧١ في بيروت .

ثالثاً كتاب علم النبات الزراعي تأليف جون برسيفال ، نقل الى العربية في وزارة الزراعة المصرية وطبع سنة ١٩٢٠ م .

(١) أنظر م ٧ ص ٢٨٩ وم ٨ ص ٣٢١ و ٤٦٥ من مجلة المجمع العلمي العربي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

رابعاً معجم العلوم الطبية والطبيعية للدكتور محمد بك شرف .

خامساً أهم كتب النبات المدرسية التركية ككتاب الدكتور اسعد شرف الدين . طبع في القسطنطينية سنة ١٩١٢ و كتاب حسين رمزي بك ، طبع سنة ١٣٢٠ مالية في القسطنطينية و كتاب الدكتور شرف الدين مغمومي ، طبع سنة ١٩٠٩ في مصر . وغيرها وهي أربعة كتب أخرى .

سادساً مفردات ابن البيطار ومعاجم اللغة الأصلية .

***

لايخفى على الذين لهم إلمام بمبادئ علم النبات ان الثمار تقسم ثلاثة أقسام أساسية وهي البسيطة والمركبة والمؤتلفة (أوالمدغمة أوالمشتركة) . وان الاولى اي البسيطة على ثلاثة أشكال : جافة ولحمية وماينهما . وان الشكل الاول اي الثمار الجافة منها التي لاتتفتح عندما تنضج ومنها التي تتفتح .

فمن الثمار الجافة التي لاتتفتح ثمرة يسمونها بالفرنسية (Achaine) تكون بزرتها منفصلة عن الغلاف الثمري وقد سماها جميع المؤلفين المار ذكرهم «فقيرة» الا الدكتور محمد بك شرف فانه عرب اللفظة الأعجمية فقال اخينيوم واخين : وأرى انه يلزم الاحتفاظ بلفظة الثمرة الفقيرة التي شاعت منذ نحو قرن الى يومنا هذا .

ومنها ثمرة تدعى بالفرنسية (Caryopse) تكون بزرتها وغلافها الثمري متلاحمين كحب الحنطة والشعير والذرة وأشباهها . وقد سماها فيجري بك «الثمرة اليابسة» . وسماها بوست وشرف «الحبة» ووردت في كتاب علم النبات الزراعي بلفظة «البرّة» أما الاتراك فانهم أطلقوا عليها لفظ «الثمرة القلوية» و «الثمرة المجوّزة» وأرى ان «البرة والحبة» هما أصلح لفظ لهذا الشكل من الثمار .

ومنها ثمرة تدعى (Samare) لها زائدة كالجناح منهم من عرب اسمها الاعجمي فقال «سمارة» ومنهم من سماها ثمرة مجنحة وثمر جناحي . اما بوست فدعاها بالمفتاح . وأظن ان لفظ «الثمرة الجناحية» أرجح ماتسمى به .

ومن الثمار الجافة التي تتفتح ثمرة تدعى (Capsule) لم أجد لها اسماً في معجم شرف ولا في كتاب بوست . وجاءت في كتاب فيجري باسم «الثمار الجونية» وكذا في كتب الاتراك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الا واحداً منهم سماها «العلبة» كما سماها مترجموا كتاب علم النبات الزراعي . وعندي ان أصلح لفظة لهذه الثمرة هي الجرو ج. جراء . فقد ورد في اللسان ان الجرو «وعاء بزر الكعابير وفي المحكم بزر الكعابير التي في رؤوس العيدان» . وجاء في المخصص «... وكأن سنابله جراء الخشخاش ...» . تلت وثمرة الخشخاش هي كبسول نباتياً .

اما لفظة العلبة فيرجح استعمالها لثمرة أخرى جافة ينفتح نصفها الأعلى كما يُفتح غطاء العلب ويسمونها بالفرنسية (Pyxide) . وسميت في معجم شرف وسيفي كتاب علم النبات الزراعي «الثمر الحق» ودعاها الأتراك باسم «الثمر الصوفي ؟» اما بوست فأطلق عليها لفظة العلبة وهو أرجح اسم لها على ما أرى .

ومن الثمار الجافة التي تتفتح تلك التي تدعى (Follicule) وهي ذات غلاف ثمري واحد يتصدع على امتداد تدريز واحد ايضاً . وقد سماها جميع من ذكرنا من المؤلفين «ثمرة جرابية» الا مترجمي كتاب جون برسيقال فقد أسموها «الحوصلاء» واللفظة الاولى أرجح لانها متفق عليها .

ومنها ثمار نباتات الفصيلة القرنية كالفول والفاصولياء وأشباههما وتسمى بالفرنسية (Gousse) وغلافها الثمري يتفتح على امتداد تدريزين . وقد سماها المؤلفون ثماراً قرنية وثماراً بقلية ونسب الدكتور شرف الى الجمع فقال «ثمر بقولي» . وأصلح لفظة لها هي السنفة والحُبْلة . فلفظة السنفة استعملها ابن سيده وابن البيطار لهذه الثمار . وورد في اللسان «يقال لأكمة الباقلاء واللوبياء والعدس وما أشبهها سنوف واحدها سنف» . ومن البديهي ان الكم في هذه الجملة هو الغلاف الثمري بعينه اي ما يدعى بالفرنسية (CarpeIIe) والسنفة تطلق على ذلك الغلاف وعلى البزور التي هي ضمنه اي على الثمرة كلها .

وجاء في اللسان «الحُبلة ثمر السَّلَم والسيال والسَّمُر وهي هنة معقفة فيها حب صُغار أسود كأنه العدس . وقيل الحبلة ثمر عامة العضاه وقيل هو وعاء حب السلم والسمر واما جميع العضاه بعدُ فان لها مكان الحبلة السنفة» .

ومنها الثمار المسماة (Silique) كثمار الخردل واللفت والملفوف والمنثور وقد وردت في كتاب فيجري وكتب الاتراك باسم «الثمار الخرنوبية» وسماها بوست «الجيبة ؟» وجاءت في كتاب جون برسيقال بلفظة «الثمر الخردلي» اما الدكتور شرف فقال «ثمر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

خردلي ، ثمر بقولي ، حبلة » قلت وأصلح الجميع « ثمر خردلي » اما ألفاظ « ثمر بقولي وحبلة » فغلط .

هذا في الشكل الاول من الثمار البسيطة وهي الثمار الجافة اما الشكل الثاني اي الثمار اللحمية فهي ايضاً تحتوي على أصناف عديدة نكتفي بذكر أصلح الألفاظ العربية لها دون الخوض في بحث تفريق بعضها عن بعض نباتياً لان ذلك من متناول كتب النبات .

فمن الثمار اللحمية التي يكون فيها الغلاف الثمري الداخلي ملتحماً بالغلاف الأوسط ثمرة تدعى (Baie) كالعنبة وقد سماها الأتراك وبوست وشرف « الثمار العنبية » ووردت في كتاب فيجري و كتاب برسيقال باسم «الثمار اللبية» ولعل الاولى أصلح . ومما يدخل في هذا الباب الثمار التي تدعى (Péponides) وهي الثمار البطيخية كثمار البطيخ والخيار والقرع وأشباهها .

ومن الثمار اللحمية التي يكون فيها الغلاف الثمري الداخلي منفصلاً عن أجزاء الثمرة السائرة تلك التي تدعى (Hespérides) وهي الثمار البرتقالية والأتراك يسمونها الثمار النارنجية .

ومنها الثمار التفاحية (Mélonides) وقد أجمع كلهم على تسميتها بهذا الاسم .

ومنها التي تدعى (Drupe) كثمرة المشمش واللوز والخوخ فقد سماها الترك « عُتمة » وهي في اللغة شجرة الزيتون البري . ولست أرى لهذه اللفظة مبرراً في هذا المقام . وكذا الفظة فصاة التي جاءت في معجم الدكتور شرف لان الفصى في كتب اللغة حب الزبيب واحدته فصاة . ولعل أصلح لفظة تلك التي استعملها بوست وشرف وهي « ثمرة نووية » .

والشكل الثالث من الثمار البسيطة هي التي بين الجافة والطرية كالثمار الرمانية (Grenade)

اما القسم الثاني من الثمار اي الثمار المركبة فان منها الثمرة التوتية (Sorose) والثمرة التينية (Sycone) والثمرة الصنوبرية (Cône) وهي كلها لاخلاف فيها .

واما القسم الثالث من الثمار اي الثمار المؤتلفة فكثمر العليق (Fruit des Rubus) الذي يسميه الأتراك « ثمر نواتى » خطأ وكاجتماع فقيرات في ثمار بعض الانواع النباتية .

وبعد يلخص بحثنا هذا على الشكل الآتي :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أصلح الالفاظ العربية	« اللفظة الفرنسية »
الثمرة الفقيرة	Achaine
البرة ، الحبة ، الثمرة الحبية	Caryopse
الثمرة الجناحية	Samare
الجرو	Capsule
العلبة	Pyxide
الثمرة الجرابية	Follicule
السنفة ، الحبلة	Gousse
الثمرة الخردلية	Silique
« العنبية	Baie
« البطيخية	Péponide
« البرتقالية	Hespéride
« التفاحية	Mélonide
« النووية	Drupe
« الرمانية	Grenade
« التوتية	Sorose
« التينية	Sycone
« الصنوبرية	Cône
« العليقية	Fruit des Rubus

مصطفى الشهابي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

آراء وافكار

—((●))—

الخط العربي

[النقط . الشكل — الحركات . علامات الفصل الخ]

للعلاّمة المرحوم الشيخ طاهر الجزائري مصنّف نفيس اسمه « توجيه النظر الى اصول الأثر » عثرنا فيه على بحث ممتع في الخط العربي وعلائم الفصل والوقف والحركات المشوبة بغيرها وغير ذلك مما يستدعيه إصلاح الخط حسبما يتمناه أفاضل هذا العصر . البحث طويل يستغرق نحو عشرين صفحة وقد لخصنا منه بعض ما له علاقة بالموضوع مباشرة قال :

علم قوانين الكتاب أو الخط معروف : وهناك علم يسمى علم قوانين القراءة وهو علم تعرف منه العلامات المميزة بين الحروف المشتركة في الصور والعلامات الدالة على الادغام والمد والقصر والفصل والوصل والمقاطع الخ . وهذا العلم وعلم قوانين الخط متلازمان لغاية واحدة وهي معرفة دلالة الخط على اللفظ . وقد ذكر بعضهم ان شدة الاحتياج الى هذين الفنين وفرط عناية النفوس الانسانية بمعرفتهما وتعلمها أغنت عن التصنيف فيهما .

وقال بعضهم الخط علامة فكلما كان أبين كان أحسن . وأهل العلم وان لم يستقبحوا إغفال الشكل في المكاتبات فانهم يعدون ذلك في كتب العلم مستقبحاً . وكثيراً مادعا حسن الخط الى المطالعة في كتاب لايميل المطالع اليه . ومن تتمة جودة الخط مراعاة المناسبة بين الحروف بعضها مع بعض وبين الكلمات كذلك . ومن تتمة ذلك مراعاة الفواصل وحسن التدبر في فصل الكلمات . وللخط استمداد من الهندسة ولذلك قال بعض الحكماء الخط هندسة روحانية وان ظهرت بآلة جسمانية . والخط العربي يمكن فيه من السرعة مالا يمكن في غيره ويحتمل من تكبير الحروف وتصغيرها مالا يحتمل غيره ويقبل من التنوع مالا يقبله غيره . والمشهور من أنواعه : (المونق) (الثلث) (النسخ) (التوقيع) (الريحان) (المحقق) (الرقاع) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولكل منها شيء يختص به : (فالمحقق) و (الريحان) يختص بالمصاحف والأدعية . و (النسخ) بالتفسير والحديث ونحوهما . و (الثلث) بالتعليم . و (التوقيع) بالتواقيع الكبار التي للامراء والقضاة والاكابر . و (الرقاع) بالتواقيع الصغار والمراسلات . و (المؤنق) بكتابة الشعر . والخط الدقيق لا ينتفع به احد بل ربما ضعف نظر صاحبه فلا يعود ينتفع به هو ايضاً . وقال ابو حكيمة كنا نكتب المصاحف بالكوفة فيمر بنا علي بن ابي طالب فيقوم علينا فيقول أجِلّ قلمك قال فقططت منه ثم كتبت فقال : هكذا : نوّروا ما نوّر الله عز وجل . وقد يكون في تدقيق خط الكتب فائدة كأن يكون صاحبها رحالاً يحمل كتبه معه . قال محمد بن المسيب الارغياني : كنت أمشي في مصر وفي كمي مئة جزء في كل جزء الف حديث . وقيل لابي بكر عبدالله الفارسي وكان يكتب خطاً دقيقاً لم تفعل هذا ؟ فقال : « لقلة الورق والورق . وخفة الحمل على العُنق » .

وقد اختلفت خطوط الامم من حيث الحركات واتصالها بالحروف وعدمه فكان الخط العربي والعبراني والسرياني مما توضع حركته فوق الحرف أو تحته وبذلك تيسر لهم ان يجروا على مقتضى الحال من الشكل عند الاشكال وتركه عند عدمه أو عند شدة الاستعجال .

وللخط العربي مزايا منها وضع علائم الوقف بحيث يُقرأ فيها بدون توقف . وعابه بعضهم بان فيه من الاشتباه مالا يوجد في غيره من الخطوط لكن الشكوى تزول اذا التزم فيه الشكل وعلائم الوقف ونحوه .

والعربية أخت السريانية وحروفها أخوات حروفها . واتفق ان وجد في العربية حروف ستة زائدة : هي حروف (ثخذ ضظغ) فلم يخترعوا لها صوراً جديدة بل صوراً مناسبة لأخواتها القديمات فصارت الثاء مع التاء والخاء مع الحاء والذال مع الدال والضاد مع الصاد والظاء مع الطاء والغين مع العين على صورة واحدة .

وقد اخترعوا النقط للحروف فزال ما كان يقع من الاشكال بين المتشابهات منها : كالحاء والخاء والدال والذال والسين والشين الخ فصاروا لا يكتبون الا بالنقط سوى بعض الكتب القديمة فانها كُتبت بدون نقط جرياً على الطريقة القديمة ثم روعي النقط تماماً الا التواقيع فانهم اعتادوا كتابتها بدون نقط كما في الشهادات والصكوك وهذا أيضاً مما لا ينبغي ان يقع .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكانت الحروف العربية قديماً من دون شكل كسائر الخطوط السامية ثم اخترعوا الحركات تحتها أوفوقها لا في صفها كالخطوط السامية الاخرى . وجعلوا للمد علامة أوحرفاً خاصاً داخلاً مع الحروف الممدودة في الصف مما لا يوجد نظيره في الخطوط الأخرى . والحركات ست : حركة محضة : ضمة فتحة كسرة . وحركة مشوبة وهي التي تكون بين حركتين غير خالصة الى احداهما كالحركة التي بين الفتحة والكسرة وهي الالف الممالة الى كسرة — وكالحركة التي بين الفتحة والضمة وهي الالف الممالة الى ضمة — وكالحركة التي بين الكسرة والضمة وهي الياء الممالة الى ضمة أو الضمة الممالة الى ياء .

ويتولد منها حركات أُخرى لكن هذه الست هي الاصول . وقد رأى كثيرون من فضلاء العرب اليوم وجوب إحداث علامات تدل على الحركات المشوبة ليكون الخط العربي وافياً بالغرض فيما اذا كتبنا كلمات أجنبية فيها شيء من تلك الحركات الفرعية والاوقع تحريف في تلك الكلمات يؤدي أحياناً كثيرة الى تغيير المعنى ولو دعا داعٍ الى هذا في عهد الخليل ابن احمد لبادر هو أو أحد تلاميذه الى تلبية الداعي .

وقد يقال لماذا لم يضع الأسلاف علامات لهذه الحركات المشوبة وأجاب بعضهم بان السبب هو كون تلك (الحركات المشوبة) ليست في لغة قريش التي هي المقصود الاول وعليها عند اختلاف اللغات المعول . ويضم الى هذا ما كان لهم من شدة العناية بالرواية والتلقي من الأفواه فلم تبق ثمة حاجة الى إحداث علامات للحركات الفرعية . على ان من بحث وتتبع وجد أنهم وضعوا علامات للحركات المشوبة ايضاً وقد ذكرها سيبويه في كتابه كما ذكرت في كتاب (المحكم في نقط المصاحف وكيفية ضبطها) لابي عمرو الداني فاستحسن بعضهم جعل علامة الفتحة الممالة الى الكسرة — الفتحة الاصلية نفسها لكنها مقلوبة بحيث يكون طرفها متجهاً الى جهة اليمين هكذا (ـ) وقد جعل بعضهم هذه العلامة مشتركة بين الإمالة الصغرى والإمالة الكبرى الا انه فرق بينهما فجعل في الإمالة الكبرى تحت الحرف . وربما زاد بعضهم على ذلك فوضع فوق الألف نقطتين هكذا ( ) وجعلها في الإمالة الصغرى فوق الحرف وقد التزم هؤلاء ان يكتبوا ذلك بالمداد الأحمر .

وأما الفرس ونحوهم فان الأولى لهم أن يضعوا علامة الإمالة تحت الحرف وذلك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لأمرين : أحدهما ان الإمالة ليست من الامور الطارئة في لغتهم ولذا كتبوا حرف المد الذي بعدها بصورة الياء : الثاني أنهم وان عدوا من كسر نحو سير وشير مما أمالوه — لاحناً فانهم يعدون من فتحه أشد لحناً . والظاهر أنه ينبغي لمن أراد أن يكتب نحو قس وزن وكل بالإمالة كما ينطق به العامة وهو في الاصل مكسور — أن يجعل علامة الامالة تحت الحرف رعاية لما ذكر . وقد التزم بعض الكتاب ان يجعل الفتحة اذا تلاها مدٌ قائمةً وبعضهم لم يلتزم ذلك الا في بعض المواضع نحو يرقى ويروي ويهوى والمرتقى والمنتقى ونحو راس وياس واستاذن اذا خففت فيه الهمزة بخلاف مثل كاتب و كتابة حتى ان بعضهم يرى عدم لزوم الفتحة فيه مطلقاً لدلالة الالف عليها وخصها بعضهم بالمواضع التي حذف فيها حرف المد نحو هٰذا وهٰؤلاء وهٰهنا والإله والرحمٰن والسمٰوات ولكن ونحو ذلك . وكما التزم بعضهم أن يجعل الفتحة اذا تلاها مدٌ قائمةً — التزم بعضهم ذلك في الكسرة فجعلها قائمةً اذا تلاها مدٌ سواء أكان ذلك في موضع لا يخشى فيه الاشتباه نحو كريم وحليم و كبير وجليل أو كان في موضع يخشى فيه الاشتباه نحو (أدني وأقصي وأعطي وأولي وأبدي وأخفي) فانها أفعال مضارعة للمتكلم وهي اذا فتحت ياؤها صارت أفعالاً ماضية للغائب الا ان الداعي هنا أضعف من الداعي فيما قبله والأولى للكاتب أن لا يلتزم شيئاً لا يلزم خشية أن لا يقوم بحقه . هذا وقد يظن ان الفتحة والكسرة قد وضعتا من أول الأمر على صورة واحدة غير أنه فرق بينهما بجعل الفتحة من فوق والكسرة من تحت وليس الامر كذلك فان الخليل لما وضع العلائم جعل علامة الضمة واواً صغيرة توضع فوق الحرف — وعلامة الفتحة الفاً صغيرة فوق الحرف الا أنه جعلها مضجعة وعلامة الكسرة ياءً توضع تحت الحرف واختار لذلك الياء المردودة وهي التي يرجع بها الى الجهة اليمنى هكذا (ـے) الا انها تغيرت فيما بعد حتى صارت كالفتحة . وقد اختار بعض العجم وضعها فوق الحرف علامة على الامالة الا أنه اختصر فيها حتى صارت هكذا (ـے) ومناسبة الياء للامالة لا يخفى ولو وضعت تحت الحرف لم يكن في ذلك بأس لتميزها بصورتها ويمكن التصرف فيها على أوجه شتى مختلفة الوضع هكذا (ـِـ ـِـ ـِـ) وينبغي لمن أراد ذلك اختيار أسهلها عليه . وأما الضمة المشوبة بالفتحة فالأولى أن تجعل علامتها نفس الضمة المشهورة بدون زيادة شيء عليها الا أنها تجعل مقلوبة بان يكون طرفها متجهاً الى الاعلى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هكذا (ُ) وذلك مثل (الصلُوة والزكُوة والحيُوة) في العربية عند من يكتبها بالواو ويجعل حركة ماقبلها ضمة مشوبة بالفتحة مثل زور وآشوب في الفارسية وينبغي تسمية هذه الحركة بالضمة المشوبة وبزيادة هاتين العلامتين يتيسر كتابة الفارسية بدون إخلال بشيء من حركاتها وذلك ان الفرس وكثيراً من الامم لا يوجد في لغتهم الا خمس حركات وهي الضمة والفتحة والكسرة والفتحة الممالة الى الكسرة والضمة المشوبة بالفتحة واما الضمة المشوبة بالكسرة فالأولى ان تجعل علامتها نفس الضمة المشهورة بزيادة خط تحتها متصل بها هكذا (ُ) وهذه الصورة مناسبة لما وضعت له لان وضع شبه الكسرة تحت الضمة يشعر بأن هنا حركة ممتزجة من حركتين هما الضمة والكسرة وان الضمة متقدمة على الكسرة وعالية عليها وان كان التقدم هنا والسبق على طريق المجاز . مثال ذلك مررت (بمذعُور وابن بُور) وهذه الحركة وان كانت قليلة في العربية فهي كثيرة في بعض اللغات المشهورة وينبغي تسميتها بالضمة الممالة لأن في لفظ الامالة بحسب العرف اشعاراً بوجود الميل الى الكسر ومما يترك لهذه الحركة رد ونحوه من المضاعف المبني لما لم يسم فاعله . وقد أشار الى ذلك سيبويه حيث قال : أما ما كان من بنات الياء فتمال ألفه لانها في موضع ياء وبدل منها فنحوا نحوها كما أن بعضهم يقول قد (رُد) وقال الفرزدق :

وما (حُل) من جهل حبا حلمائنا ولا قائل المعروف فينا بعنف

فيشم كأنه ينحو نحو فعل فكذا نحوا نحو الياء : وأما الكسرة المشوبة بالضمة فالاولى أن تجعل علامتها نفس علامة مقابلتها وهي الضمة المشوبة بالكسرة لكونها أشبه الحركات بها الا أنها توضع مقلوبة هكذا (ِ) ومثال ذلك قيل وجيء وخيف وهيب وانقيد واختير وخفت وهبت وينبغي أن يكتب مثل قيل وجيء على هذه اللغة بالياء دون الواو وذلك لأن الحرف الذي ينشأ عن هذه الحركة هو الى الياء أقرب منه الى الواو : وقد ذهب بعض الناس الى كتابته في غير العربية بصورة الواو وذلك لكونه مشوباً به وجعل الحركة التي إنشأ عنها نوعاً من أنواع الضمة لكونها مشوبة بها وهو مخالف للظاهر فان الظاهر كون هذه الحركة نوعاً من أنواع الكسرة لان الكسر أغلب عليها و كتابة الحرف الذي نشأ بصورة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الياء لكونه أشبه بها . وأما في اللغة العربية فيتعين كتابته بالياء لثلاثة أمور : (أحدها) ماذكر وهو كونه أشبه بها . (الثاني) ان أشهر اللغات فيه هي لغة من يلفظ به بالياء . (الثالث) رعاية الاحتياط فانه اذا كتب على هذه اللغة بالواو ولم ينتبه القاريء للاشمام وأتى بالضم الخالص يكون قد ترك اللغة الفصيحة وهي لغة من يشم الكسرة ضمة الى لغة غير فصيحة وهي لغة من يقول فيه قول وجوء بالضم الخالص . وأما اذا كتب بالياء فانه اذا لم ينتبه للاشمام وأتى بالكسر الخالص يكون قد ترك اللغة الفصيحة وهي لغة من يشم الكسرة ضمة الى اللغة التي هي أفصح منها وهي لغة من يقول قيل وجيء بالكسر الخالص . واكثر الناس في أمر العلائم اما مفرّط واما مفرط . فمن المفرطين في ذلك من لا يكاد يضع علامة في موضع من المواضع . ومن المفرطين فيه من لا يكاد يترك موضعاً بغير علامة وقد رأيت بعض قراء الفرس جعل لما ونحوها علائم فجعل لما الشرطية الطاء وللاستفهامية الميم وللموصولة الخاء اشارة الى أنها خبرية لا انشائية وللزائدة الصاد اشارة الى انها صلة في الكلام وللكافة الكاف وجعل ذلك فوق ميم ما وكتبه باحرف صغيرة بمداد أحمر وجرى على مثل ذلك في كثير من الاشياء والاولى في أمر العلائم ان لا توضع الا حيث يضطر اليها أو يبعث عليها باعث .

وهاك جدولاً في الحركات وما يتعلق بها :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أسماء الحركات	العلامات	مثالها بالعربية	مثالها بالفارسية	معناها
الضمة	ُ	ou جُدْ	پُرْ	ملآن
الضمة المشوبة	ُ	o صُوة	خُودْ	نفسه
الضمة الممالة	ُ	u رُدّ	.	.
الكسرة	ِ	i صِلْ	چِه	أي شيء
الكسرة المشمة	ِ	eu هبت	.	.
الفتحة	َ	a هَبْ	سَرْ	رأس
الفتحة الممالة	َ	é دَرَجهْ	سَه	ثلاثة

وهذا المبحث واسع الأطراف جداً وفيما ذكرنا كفاية للطالب المنتبه والله الموفق .

* * *

ومن إجادة الخط مراعاة علائم الوقف . وقد اصطلح كتّاب القرآن الكريم على علائم مختلفة لأقسام الوقف المختلفة : فجعلوا (التاء أو الميم) للوقف التام و(الحاء) للحسن و(الكاف) للكافي و (الصاد) للصالح و (الجيم) للجائز . وقد التزموا كتابة هذه العلائم بالأحمر ووضعها فوق موضع الوقف . وللسخاوي تقسيم آخر للوقف وجعل لكل قسم علامة خاصة غير ماذكر توضع فوق محل الوقف وتكون بالمداد الأحمر والأقسام الخمسة هي : (اللازم) و(المطلق) و (الجائز) و (المجوز لوجه) و (المرخص للضرورة) : فعلامة اللازم (الميم) وعلامة المطلق (الطاء) وعلامة الجائز (الجيم) وعلامة المجوز (الزاي) وعلامة المرخص (الصاد) . وهناك وقف قبيح جعلوا علامته (لا) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وللكتاب اصطلاحات أخرى في العلامات (فالسين) علامة السكتة وهي الوقف اللطيف من غير التنفس . و(القاف) علامة الوقف الذي قال به بعض العلماء دون بعض . و (قف) علامة على ان الوقف مستحب لا واجب .

ومن جملة علامات الوقف ما اصطلح عليه المحدثون من وضع (دارة) بين الحديثين للفصل بينهما . وكان بعضهم يدع بقية السطر أبيض ليكون البياض مؤكداً للفصل . ومنهم من جعل البياض علامة الفصل وهو مختلف المقادير حسب المقتضيات من تعلق المعاني بعضها ببعض قلة وكثرة وقد أشار الى ذلك ابن السيد حيث قال : والفصل انما يكون بعد تمام الكلام الذي ابتديء به واستئناف كلام غيره . وسعة الفصول وضيقها على مقدار تناسب الكلام فان كان القول المستأنف مشاكلاً للقول الاول أو متعلقاً بمعنى منه جعل الفصل صغيراً وان كان مباينًا له بالكلية جعل الفصل أكبر من ذلك فاما الفصل قبل تمام القول فهو من أعيب العيوب على الكاتب والوراق جميعاً . وترك الفصول عند تمام الكلام عيب ايضاً الا انه دون الاول اهـ . وكان الصحابة لا يعرفون شيئًا مما أحدث في المصاحف الا النقط الثلاث على رؤوس الآيات . وقيل اول ما أحدثوا النقط عند آخر الآيات ثم الفواتح والخواتم . وقال قتادة بدأوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا . أي كتبوا الأعشار والأخماس وأسماء السور وعدد الآيات . وقال بعض المقرئين : لا أستجيز النقط بالسواد لما فيه من التغيير لصورة الرسم . وأرى أن تكون الحركات والتنوين والتشديد والسكون والمد بالحمرة والهمزات بالصفرة . واول من فعل الشكل في الصدر الاول بطريق النقط هو ابو الاسود الدؤلي . واما الشكل المتداول الآن فمن وضع الخليل فالفتحة عنده الف صغيرة فوق الحرف والضمة واو صغيرة فوقها ايضاً والكسرة ياء صغيرة مردودة تحته ووضع لكل من الهمزة والتشديد والروم والإشمام والسكون علامة .

وينبغي ان يتخذ للوقف اربع علائم :

(١) علامة السكت وهي خط هكذا (—) يوضع بعد الحرف المسكون عليه والمراد بالسكت الوقفة الخفيفة مثال استعمالها ماتراه في هذا الشعر من قول بعض القضاة :

[فما خفض الأعادي قدر — شاني ولا قالوا فلان قدْ — رشاني]

وقول الكميت :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

[وما أنا ممن يزجر الطير — ونعمه أصاح غراب أم تعرض ثعلب]

فالسكتة الخفيفة في المواضع الثلاثة لازمة لتساعد على فهم المعنى المراد .

(٢) علامة الوقف الحسن وقد اختلفوا فيها : فمنهم من جعلها كتابة الكلمة الاولى بالحبر الأحمر . أو كتابة الحرف الأول ولا سيما ان كان واواً او بوضع خط أحمر فوق الكلمة الاولى — كل ذلك إشارة الى ان تلك الكلمة مما يسوغ الابتداء بها وان ماقبلها يسوغ الوقف عليه . ومنهم من يجعل العلامة نقطة صغيرة ومنهم من يجعلها واواً مقلوبة هكذا (؏) وهذه العلامة هي التي نختارها مثال استعمالها :

« سوسوا أحرار الناس بمحض المودة ، والعامة بالرغبة والرهبة ، والاسافل بالمخافة . »

(٣) علامة الوقف الكافي واو مقلوبة يزاد عليها نقطة أو خط تمييزاً بينها وبين علامة الوقف السابقة هكذا [؏ او ؏ —] .

(٤) علامة الوقف التام نقطة كبيرة هكذا (۞) ومنهم من يجعلها ثلاث نقط على هيأة نقط الشين (❖) أو دائرة مطبقة (○) أو منفرجة (∩) . واذا كان الوقف التام أنواعاً فيحسن ان يجعل لكل منها علامة من هذه العلامات الأربع ومنهم من جعل للوقف التام علامات غير هذه .

ومن العلامات التي اصطلح عليها الكتّاب رقم (اه) المختزلة من (انتهى) حينما يريدون ان الكلام المنقول قد انتهى وتم . واذا حذفوا جملة في خلال الكلام يقولون (قال) وينتقلون الى ذكر مايريدون بعد حذف المحذوف ثم نحتوا من (قال) حرف القاف فيكتبون هكذا (ق) . واصطلح المتأخرون على وضع علامة للاستفهام واخرى للتعجب وهو حسن اذا روعي وضعها في محلها المناسب لا أن يخبط في وضعها خبط عشواء . واما وضع علامة قبل مقول القول للدلالة عليه فيحسن اذا خيف التباس أو نحوه . ومبحث العلامات مبحث واسع الاطراف جدير بان يفرد بالتأليف اه ملخصاً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مطبوعات حديثة

—(())—

ديوان الحلاج

[ترجمه الاستاذ لويس ماسينيون]

«طبع في باريز في المطبعة الأهلية — ص١٥٨ من القطع الوسط»

الاستاذ لويس ماسينيون أحد أعضاء مجمعنا العلمي متفرغ لدراسة الصوفية ، وله في هذا الباب كتاب : الحسين بن منصور الحلاّج بحث فيه عن الحلاّج من مجامع نواحيه بحثاً مستفيضاً مبنياً على القواعد الحديثة في التنقيب وله كتاب آخر بحث فيه عن اصول مصطلحات الصوفية . وله كتاب فيه أربعة نصوص تتعلق بترجمة الحلاّج .—

وآخر ماأهداه الى المجمع العلمي : ديوان الحلاّج فقد رتب هـذا الديوان ونقله الى اللغة الفرنسية ونشره .—

قد يكون نقل الشعر من لغة الى لغة مركباً خشناً لما في كل لغة من الخصائص والاسرار التي لا تكون في لغة غيرها ، ففي لغة استعارات اذا نقلت الى لغة ثانية كانت ضرباً من السخرية .—

أما نقل المصطلحات الفلسفية من لسان الى لسان فليس فيه من المصاعب ما في نقل صور اللغة الشعرية وخاصة ان كانت اللغة المنقول اليها مشتملةً على المصطلحات المجرّدة أي على خصائص اللغة الفلسفية .—

وشعر الحلاّج انما هو شعر فلسفي ليس فيه الاّ القليل من الصور الشعرية وانما احتوى على صور مجرّدة بعيدة عن الاستعارات وأمثالها فألفاظ العلم والايمان والتجاريب والجسم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والروح والخاطر والوهم والفكر وأشباهها مما اشتمل عليه شعر الحلاّج انما هي ألفاظ مجردة غير لاصقة بالمادة فلا يصعب وجود أمثالها في اللغة الفرنسية تدل عليها الدلالة الواضحة دون شيء من كد الذهن ٠—

من أجل هذا السبب كان نقل الاستاذ ماسينيون لشعر الحلاج من العربية الى الفرنسية نقلاً واضحاً حرص فيه صاحبه على خصائص لغة الحلاج وأسرارها ٠—

شفيق جبري

الموجز التاريخي

[للصف الثالث الابتدائي]

« قررته وزارة المعارف في مصر سنة ١٩٣١—١٩٣٢ »

ألفه هنري الشماع مدير مدارس جمعية الايمان القبطية بشبرا ويوسف فهمي أستاذ الآداب والتربية بالقسم العالي بالأزهر الشريف ٠—

طبع بمطبعة رعمسيس — ٤١ شارع الظاهر — مصر ٠

رسالة مدرسية صفحاتها ٣٨ ٠—

جاء فيها كلام مختصر على العرب وعلى النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الخلفاء الراشدين : رضي الله عنهم ٠—

وعلى خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ٠—

وعلى معاوية بن ابي سفيان وعلى هرون الرشيد ٠—

وعلى احمد بن طولون وعلى المعز لدين الله الفاطمي وعلى الحاكم بامر الله وعلى صلاح الدين الايوبي وعلى شجرة الدر وعلى الظاهر بيبرس وعلى قانصوه الغوري وعلى سليم الاول وعلى محمد علي بك الكبير ٠—

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي الرسالة خرائط وصور بعض المساجد في مصر كجامع عمرو بن العاص وجامع بن طولون وجامع الغوري وصلاح الدين وسليم الاول ٠—

وفي آخر كل فصل أسئلة تتعلق بالفصل ذاته ٠—

توخى المؤلفان في رسالتهما سهولة اللغة ولكن هذه السهولة قد خرجت بهما في بعض المواطن عن متانة التركيب فلا يقال : تالب شيق ، ولا يقال تحقق من موته ولا يقال : اشترك في حروب ضد الروم الى أشباه هذه التراكيب الضعيفة فقد يكون الكلام سهلاً من غير ان يكون ضعيفاً في مبناه ٠

شفيق جبري

بحث لغوي في الراء

« بمعنى الرأي »

[بقلم جبران النحاس]

كرّاسة صغيرة صفحاتها اربع عشرة أثبت فيها صاحبها طائفة من الأقوال التي جاءت فيها كلمة الراء بمعنى الرأي ٠

اما الشعراء الذين استشهد بأشعارهم فهم : مطيع بن أياس وأبو العتاهية وأبو نواس وابن الرومي وابن الهبّارية وعمرو بن عثمان القيني والبحتري والمعتز وابن نباتة السعدي وأبو الفرج الببغاء والشريف الرضي ونجم الدين بن صابر المنجنيقي ٠

وأما الكتّاب فهم : أبو اسحق الصابي ، أبو منصور الثعالبي ، القاضي عبد القادر الجرجاني وقد أورد صاحب الكراسة أبياتاً لابي تمام وردت فيها كلمة الراء منها :

فاذا رأيت أسى امرئ أو صبرَه يوماً فقد عاينت صورة رائه

فقال الصولي في شرحه على هذا البيت : هذا شيء استعمله الطائي وغيره فأما مذهب سيبويه في ذلك فاذا حمل عليه كان كالعيب لأنه لا يجعل همزة حوبائه وما كان مثلها اذا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

خفف ياءً خالصة ولكن تكون بينَ بينَ وياء رأيه ياء خالصة لايجوز قلبها الى الهمزة في هذا الموضع فيقع الاختلاف في الروي وأما غير سيبويه فلا يبعد في مذهبه أن يجعل همزة حوبائه ومثلها اذا خفف ياءً وهو مذهب ضعيف ونحو من ذلك ماجاء في شعر أبي النجم لأنه قال :

هل تعرف الربع عفت جواؤه

وقال فيها :

وعزّ شأء المغربين شاؤه

فواو شاؤه لايجوز ان تهمز . همزة جواؤه لايجوز أن تجعل ١٠اً خالصة .

شفيق جبري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net